غابة الحليب والفحم (2)

اليد التي تلمس الهواء

اليد التي تلمس الهواء
كان عليها أن تتذكر الجسد وهو يمسك
بين شفتيه الغرينيتين
تلك النظرة الأجيرة
التي تبحث عن غابة اللذة!!
بين الجسد والفم
تستيقظ الرغبة
لا شيء
لا شيء
يمكن أن يمنح الجسد تلك الثقة
التي يكتسبها الضوء
على حواف النسيان
إلا النظرة ؟

الملاك الأزرق

أيها الملاك الأزرق ذو الفم الذهبي
وأنت تمثل – هناك – دورك على المسرح الكبير بمفردك
وتمسك بالبوق بين يديك لتعتصر العالم
مثل حبة طماطم فاسدة
هل أصابك القرف والصدع
من كل تلك الديدان التي يسيل منها الدم
على مائدتك التي تكتظ بالقتلى
وبينما تنفخ أنت بالبوق تسقط البحار والمحيطات على الأرض
وتنحدر الشمس
إلى تلك الهوة الفاغرة الفم للعالم
لكي تستدير الأرض تحت قدميك كالرحى

الأرض!!
هذه الجوهرة المعصوبة العينين
بالأبخرة والجراثيم
حيث تسقط تحت أقدام الملائكة
والشياطين
أيها الملاك ذو المنقار الذهبي
كل يمضي
نحو تلك الهاوية المجهولة التي لا يعود منها أحد أبداً
بلا طمأنينة واحدة للروح
أو حتى دليل واحد على سلامة الإياب
ما من شيء يمكن أن يستنقذ الزمن
– تلك الآلة المعطوبة –
من العتمة المدوية التي تحيط بالكل
وتسيطر على الكل في نفس الوقت
حتى التجاعيد المغضنة للجسد
الذي كان يمتلئ يومـًا ما بالشهوات الزاهرة
والمجرات
التي ترقد تحت خمائره وعصائره!
الآن
يمكن ليدك المحراثية أيتها الجرافة الكبيرة
أن تكنس كل أوراق اللعب
من على هذه الطاولة التي يتحلق حولها الكافة
ومن دون شعور واحد بالخسارة
ومن غير أن تسقط من عينيك دمعة واحدة
وتشبه التعزية
على كل أولئك العميان الذين يتحلقون
حول الطاولة !!

المتغضبي

إلى شاعر سبعيني

الرجل الكلب
الذي يكتب الشعر في الصباح ويأكل من لحم امرأته
وفي المساء يذهب إلى المرحاض العمومي
لكي يكتب اسم حبيبته المومس بشفرة حلاقة حادة على الحائط
ثم يقف وهو بالطربوش التركي كالمطران
لكي يلتقط لنفسه صوره التي تجمع ما بين الحداثة
وما بعد الحداثة
وماسحي الأحذية
وبائعي الخضار والفاصوليا في سوق روض الفرج
في سلة واحدة
لا لشيء إلا لأن المرآة التي يرى نفسه فيها
لا يمكن أن تلتقط صورته الرسمية إلا إذا كان يهز ذيله
أو يهر كالقطط
– في الصحف الحكومية غالبـًا
وغير الرسمية أحيانـًا –
وينبح كالكلب
في انتظار أن تجود عليه السيدة ج.ح
بكلمة تشبه البراز
في ذيل صحيفة النهار
أو يستقبله الشاعر الفسفوري بالغائط الذي يليق به
لكي يظهر في الكادر بجوار أمه العاقر
– وكما صرح هو نفسه –
حتى يحسبه الساسة والنخاسة بجبته وقفطانه
أحد الإنكشاريين العظام
أو ذلك الطواشي الضخم الذي يخدم في الحرملك
بأناة

وصبر
حتى يأخذ هيئة الدركي
أو صبغة الشاعر الرسمي
الرجل الكلب
الذي بدأ حياته لوطيا ثم انتهى مقلداً
في ورشة الخياطة
لقاء ما تجود عليه السيدة (ن)
من صفة رجل
إلى قواد
البواب
النداب
المتغضي
العنين
الذي يأكل من فرج امرأته طول الوقت
الذي يكتب الشعر في الصباح
وفي المساء يذهب إلى المرحاض العمومي
لكي يرسم امرأته المومس بالسوتيان والكيلوت
ولكي يلتقط لنفسه صوره التي تجمع ما بين الحداثة
وبائعي الخضار في سلة واحدة!!

جغرافية الاستعارة

النظرة المنكسرة للزمن
الرؤية المنعكسة للتاريخ
هذه هي اليد
التي تقبض بذاتها على اللاشيء
لم يكن للبحار الأعمى
إلا أن يموت على شرفة المحار
وهو يمسك بين أسنانه ومخالبهِ بالدفة المعوجة للعالم

ورقةً تسقط
وأخرى تطيرها الذاكرة
عبر فضاء النظرة
الثاقبة للأشياء
كيف تنكسف الشمس على رحى المجاز
أيتها الروح التي تصهل
وبضراوة
عبر بوابة الرصاص
والفحم
لم يكن لنا أن نعمل
إلا وفق جغرافية الاستعارة!!
أيها الرفاق
لقد تأخر بنا الوقت كثيراً
والزمن الذي كنا نحسبه يعمل وفق إرادتنا العليمة لهذا الكون
لم يكن غير حفار أعمى
يعمل وفي المكان الخطأ دائمـًا
وبنفس الروح الرنانة
لغابة من الرخام والآجر
وهو يتربع على الجدران
والنوافذ
مثل قط بمخالب
ولا يرقب إلا تلك الحشرة الجهنمية
التي لا تكف عن الدوران والسعي تحت أسرتنا
المغبشة بالكوابيس
والأحلام
تلك الأحلام المعراة عن الواقع
والنعمة
ولا يترك فوق شفاهنا المشققة
إلا كتل الرصاص

والفحم
كتمثال حي
على تلك الملهاة اللاإنسانية
للعالم الحي
والعالم الميت على حد سواء
أيها الرفاق
لقد تأخر بنا الوقت
كثيراً ؟!

القديس أوغسطين

[1]

أأنت تمتلك ساعة الرمل هذه
لا الشجرة التي تعرف
ولا التوتة التي تنام تحت جذعها
وتحلم بإمكانية تغيير العالم
يمكن لها أن تقيم داخل كل هذه الغرفة !!
لا الحمامة
التي ترفرف بجناحين عاليـًا
ولا تلك العتمة التي للروح
يمكن أن تصلح ساعتك الخربة التي تسير
عكس الزمن
معـًا
سوف نسلخ هذه الروح
مثل فأرة عمياء
وسوف نعتصر كل هذا التراب
في المعاصر
إلى أن تدخل الشمس الى كهفها الليلى
أو تخرج من دورة المياه العمومية

لتواجه عنف الساعات
أه
أيها السيد الذي يجلس قبالة الله
أي أنقاض سوف تحملها معك إلى القبر
وأنت تصرّ الماء
في صرةٍ
وتنام تحت جدران كنسيةٍ
مهدمةٍ
أنت
أيها القديس الذي يعرف كيف ينسج على النول
غباره
ومنخفضاته
أية علامة
سوف نكشطها معـًا من على وجه الأرض
ليتك تشاركني
ساعة اليد المعطلة هذه؟!
[2]
كم يلزمنا من الهواء
لنقيس عمق الليل
كم يلزمنا من الوقت
لنقف على رصيف الزمن الخائخ
ولنشهد معـًا
وفي ليلة باردة
تفكك السماء
معـًا سوف نقف على شفا الجحيم
لنقطع أجنحة اليأس
هذه
وبأصابعنا التي ينزّ منها الدم
سوف نحفر بئر الأبدية

الفارغ
آه
كم يلزمنا من الهواء
لنقيس عمق الليل
كم يلزمنا من الليل
لنقيس عمق النهار!!
[3]
ببساطة
وبلا ندم أجير
سوف تقف هذه النجمة الواثقة على
حريرة الغيم
الواقعي واللاواقعي
حياة أسيرة
أية زهرة هذه تلك التي يمكن لها أن تمارس
رغباتها الجنسية
على سنابل الليل
وحدها الفراشات
تعرف عمق النعمة
لأنها تضاهى المتعدد!!

الطائر المنكود الحظ

أيها الطائر المنكود الحظ
ذو المنجل
والبلطة
أعرف
أنك قد لا تصيب برحمتك من تشاء
ولكنك ترقد هناك في ثيابك المخضبة بالدم
وتضع على صدرك عقودك المدلاة

من الخرز
والعاج
وعلى رأسك تضع صليبك المعقوف ذي النجمة
وفي آخر الليل
تركن عجلاتك الذهبية
ودواليبك
آلات زرعك
وحرثك
أناجيلك
وشموعك المطفأة
في الطرق الجانبية لكل تلك الشوارع القاحلة
المعرّاة
من الحكمة
والمعرفة الحسنة
لكي تنصب شبكتك الجهنمية هذه
لتصطاد بها من تشاء من أيل الجبل
والسهل
أو كل عابر سبيل لا يعرف
عن معنى الحياة أي شيء
كيف يفلت من أنشوطاتك القوية
وجرّافاتك
التي تلفها حول رقبته مثل أخطبوط بحراشف
وكما يفعل آخر جزار في هذا العالم
أيها الآبق الكلب !!
توقف بجنازيرك العابرة للقارات هذه
وخناجرك المدببة
ولا تلحس بلسانك الفظ
ولعابك الخشن

ذيل جلاليبي
وطاولة أحلامي
ولا تقترب
أيها الآبق الكلب
من كل تلك العتبة التي لا يتوقف عليها سوى الفراشات اللامعة للضوء
واتركها
اترك كل تلك الفراشات
التي تأوي إلى مخدعها في آخر الليل
لتغني لك
أغنيتها الوحيدة المرحة
عم صباحًا
أيها الطائرُ الأعمى
يا صائد الفراشاتِ
والحظّ!!

الزيتونة

إلى
محمود درويش

سوف أشاطرك الموت أيها السيد العاطل عن العمل
وأقتسم معك رغيف خبزك الجاف
ولبن أمك
وأنت تشرف هناك على وطنك
الذي سرقه اللصوص
كما يسرقون طنجرة من الماء
ربما
تتربع على طاولة من أرائك وأرجوان
وأنت توزع على اللاجئين من أبناء وطنك الذي استشهد على الحدود

وداخل المعتقلات
والزنازين
الخريطة المتبقية لقريتك البروة
في حفل توزيع الغنائم تحت غصن شجرة من الزيتون
وهي تبكي مع القمر
في انتظار أن يعود أهلك مع المساء
لكي يقفوا دقيقة واحدة من الحداد تليق بك
من خلف الرشاشات الآلية
والسلاح الأبيض
دقيقة واحدة من الحداد
وكما يليق بجنرالٍ ميتٍ
سقط بين جنوده
وقواده
إلى أن تتشمم عظامك
رائحة الأرض
التي حملتك في بطنها مثل أم
في انتظار أن تلدك في الربيع القادم
مع أوراقك
وقصائدك
التي أخذت تزهر على الحدود
وتطوف حول وطنك الحي
كالفراشات
التي راحت تتسلل من خلف الأسوار الشائكة
لتلقي نظرة أخيرة عليك
أنت
أيتها الزجسة التي ما لها من مثيل
يا أثر الفراشة الوحيدةِ
على الأرض!!

الجميلة النائمة

إلى
هـ . ن برغم كل شيء

قومي
أيتها الأميرة واغتسلي من نومك
فسوف يتبعك الفجر الذي ينام تحت ركبتيك
ويرقد متوسداً
حشيشته العالقة
تحت سرتك
وبين فخذيك
انهضي
أيتها الجميلة النائمة
فبعد قليل سوف تشرق الشمس على الأرض
وبعد أن تعلقت طويلاً تحت قبتكِ العالية
لا
لتمد أصابعها البردانة باتجاه شمسك
ونوافذك المغلقة أبداً
وإنّما لتتأكد من أن لها حريراً يمشي على الأرض
وينام هادئـًا
تحت شفتك السفلى
وأغنياتك
وسوف تعرف كذلك أن أشجار التفاح
والتوت البري
ما كان لها أن تخضرّ
إلا فوق شفتيك الإلهيتين
قومي
أيتها الجميلة المصنوعة
من عسل الأنهار

وفاكهة الجنات
فلم يعد على الفجر
إلا القليل من الوقت
وبعدها سوف نتوقف قليلاً
لنطأ بأقدامنا المجرّحة
كل هذا العشب الإلهي
الذي يرقد مبهوراً
تحت قبة جسمك
ومرمر فخذيك
الأثيمتين!!

الأشعار التي لا تخص أحداً سواي

فقط
لو أنعس قليلاً على الورقْ
لو تنام الكلمات تحت يدي كالحيوانات
إذن
لاسترحت من كتابة الأشعار
ولأخذت الحروف مكانها إلى جواري على الطاولةِ
فغسّلت لها رأسها
وطبطبت على كفلها
وأطعمتها بيدي هاتين
لتنام تحت مخداتي كالحكايات
بدلاً من أن تهرّ كالقطط المتوحشةِ
والكلاب الضالةِ
فقط
لو تنام تحت يدي
إذن
لأطفأت لها المصابيح

وأخذت النجوم تتكلم
والقمر يسهر بجانبي على النافذةِ
ولاسترحت من تعبِ كل هذه الحياة
لقد تعبت من كتابة الأشعار
هذه ...
الأشعار التي لا تخصُّ أحداً سواي!

الآب الإله

أعرف أنك لن تتخلى عني
حينما رفعت سماواتك
وأسست المسكونة
وبقيت أنا
بعينين
مشقوقتين
بالرماد
والملح
أتطلع الى أصابعك القوية التي تعمل كالنول
وهي تنسج العالم قطعة قطعة
وإلى كافة بنائيك العظام الذين يصعدون ويهبطون من السماء
على سقالاتهم الهوائية
لكي يشيدوا المدن
ويؤسسوا التاريخ والعدم
لا
لن أتطلع إلى بوابة الجحيم تلك
لأحصي عدد صرعاك
وكافة أنبيائك الكذبة
أولئك الغواة الذين يخلطون السيمياء القديمة
بالأساطير والسحر

وإنّما
لألتقط
جمرةً واحدة سقطت من بين أصابعك
لكي تضيء العالم
الذي تعشش فيه الدببة
والعناكب
ويعلوه الدم !!
أيها الآب الإله
ألم يكن لقابيل طفلك الأول
وجه قاتل؟؟

أغنية الفجر

ليس لنا أن نرقّع السماء بأكفنا التي تعبت من الضراعة
والنسيان
ولا أن ننقل الأرض إلى مركز آخر
والسنوات
التي أنفقناها في المماحكات
والضحك
كل تلك السنوات
لم يعدلها من فكرة أخرى
عن كل ذلك اليأس الممضّ
الذي يكلل العالم
أعرف
أعرف
أننا سوف نتوقف ولمرة أخيرة
كذلك
بإزاء كل تلك الأغنية التي تطلع من الفجر
على سلالم بيوتنا المتآكلة

وأشجارنا المعرّاة عن النعمة
لتنزل إلى الشوارع والأرصفة
كتعبير أخير عن الحرية
التي تمشي على الأرض
بقدمين
فارهتين!!

آثار أقدام جانبية

دع يدك التي تعمل بمفردها في الضوء
وألق بمراسيك على شاطئ الذاكرة
فالقوة الدافعة للنظر هي
هي نفس القوة الدافعة للحجر الخلاق
ولا تستسلم لوهن العقل أبداً
أينما سرت فستجد طريقًا يضم رفاتك
وأغنياتك
أينما وجهت نظرك دائمًا فستجد نفس الأرض
التي مشى عليها آباؤك وأجدادك
تئز من تحت قدميك كالنوارجِ
فيما يستحثك العرق الحي
لكافة الذين سبقوك
لا تقل لهذه الشمس أو تلك أن تتوقف قليلاً على جزر المحار
ولا تقل عن معرفتك إنها ناقصة قط
وغير مكتملة
فقط
اهبط قليلاً على القاع
فستجد آثار أقدام
وضحكات
لعلها من قرون مضت

تنظر إليك
بعينين زائغتين
ودون أن يجف عنها كل هذا الوهج الإنساني!!

587 ق.م

في الأول من نيسان 587 ق.م
كان الملك المعظم نبوخذ نصر يجلس على سريره الأخاذ في قصره
الذي بناه على ضفاف دجلةَ بين كبار رجال الدولة
وقواد جنده
هذا السرير المصنوع من خشب الماهوجني
والمطرز بالجواهر الثمينة واللآلئ والنقوش البابلية
من رؤوس الغزلان والأيائل الصحراوية والأقنعة الإغريقية
فيما كانت تجلس معه على العرش
تلك الغانية اللعوب إيائيل
والتي تمناها الآلاف من شباب بابل وبلاد ما بين النهرين
وكان المهر الذي قدمه لها نبوخذ نصر
عشرة آلاف رأس من رؤوس الأعداء
وكذلك الآلاف من الهكتارات الخصبة من الأرض الواقعة حول نهرى دجلة والفرات
ناهيك عن أكداس الذهب والفضة التي زين بها قصورها
وغرف نومها
وفرشها هناك في الأفنية والممرات
لتمشي عليها بقدمين ملكيتين
تلك المرأة التي كان كثيراً ما يشبهها بالآلهة البابلية
نظراً لما تتمتع به من جسدٍ ثرٍ لا مثيل له
ومن شفتين كرزيتين
وعينين كرديتين من لهيب الكهرمانات
وفيما كان يستعرض جنده وقواد جيشه
وهم يسيرون في صفوف متوالية من مشاة وراكبي عجلات حربية

وقاذفي سهام مجوفة
كانوا يشرعون الرماح عاليـًا
وهم يهتفون باسم الملك المظفر نبوخذ نصر
باعتباره الملك الخالد سليل الآلهة
تلك الآلهة التي كشفت له عن عشبة الخلود
والتي ما منحتها لأحد من قبل
والتي طاف جلجامش العجوز من أجلها كافة الممالك
وخاض الكثير من الأهوال التي لا يمكن أن يصدقها عقل
كما اتبع وفي الآن نفسه نبوءات العرافين والكهنة
وضاربي الودع والرمل وكل قصاصي الأثر في المدينة
وقدم لذلك الآلاف من الذبائح والقرابين
من أجل الحصول على عشبة الخلود هذه
ولم يكن الجالس على عرش أورشليم آنذاك
– وهو الملك نيقوئيديموس –
يدرك أن تلك المرأة اللعوب إيائيل والتي تمناها الآلاف
من شباب بابل
وبنوا لها الحدائق المعلقة
والزقّورات
وأحضروا لها كافة الهدايا الغريبة والأحصنة الأسطورية
التي تستطيع الوصول إلى عين الشمس
في أقل من لمح البصر
قد رأت في أحلامها حلمـًا واحداً متكرراً فقط
أن أورشليم بأسوارها
وقلاعها
ومعابدها
سوف تسقط هي الأخرى بين يدي نبوخذ نصر
وسوف يعيد تخطيط شوارعها
وهندسة أبنيتها
ويسن لها ما يشاء من القوانين والتشريعات

نعم
سوف تسقط أورشليم ومثلما سقطت كافة المدائن
التي اجتاحتها جيوشه المنتصرة المظفرة
ومثلما تسقط ورقة الخريف تحت حدوة حصان
وهي التي اجتاحت كافة الممالك المحصنة
وأخضعتها
ولم يقف في سبيلها أية مدينة
مهما كانت مدججة بالسلاح
والقلاع
الأمر الذي جعله يستغرق في حصار المدينة المقدسة
ثلاثة أعوام وسبعة أشهر
وثلاثة أيام
وليلة واحدة
وكانت حصيلة الحصار عدة آلاف من القتلى
ناهيك عن الذين فروا من القتل
وقرروا أن يموتوا هناك في الصحراوات القاسية
وبعيدا عن مدينة الرب المقدسة هذه
وطالما أن الرب نفسه لم يتدخل لهزيمة الأعداء
وإخضاعهم – كما وعدهم في كتبه المقدسة –
أو فك الحصار عن مدينتهم وهم حاملو أختام الرب
ووصاياه
والمدافعون عن كل تلك الأرض التي منحها لهم الرب
بموجب العهد الذي قطعه على نفسه لآبائهم
إبراهيم وإسحق ويعقوب
بدلاً من كل أولئك الكفرة والمجدفين وعبدة الأصنام من الكنعانيين
والآراميين
– باعتبار أنهم أصفياء الرب وخلصاؤه الأتقياء –
وهكذا ...
وهكذا

راح الكهنة وضاربو الدفوف والصنوج النحاسية والمغنون
ومدبجو القصائد الخماسية الوزن والحماسية
يتلوون تحت أرجل القوات الظافرة المنتصرة
ويشيدون بالخصائل العظيمة لملك الملوك المظفر نبوخذ نصر
الذي جاء ليحررهم من وصايا الرب الثقيلة
والقرابين التي لا تنتهي من الماعز والأغنام والضأن
وأولئك الكهنة الذين يسومونهم سوء العذاب
من أجل وصايا الرب المقدسة
شيء واحد كان ينقص تلك المرأة اللعوب إيائيل
أن تقف في قدس الأقداس عارية تمامًا
لترى حدائق بابل المعلقة
من شرفة منزلها
في أورشليم !!
فلم يكن يعنيها في شيء ذهب أورشليم
أو حتى بقرة الرب المقدسة
ولم تسترح للعقود المدلاة على صدور النساء
ولا على خصورهن
ولا بتلك الأوراق المعلقة على جدران الهيكل
من الوصايا العشر
التي استعاروها من المعابد المصرية القديمة
– كبضاعة مزجاة –
ولا بتلك الهندسة الإقليدية التي أتحفهم بها اليونانيون الأوائل
لكي يعرفوا أن الأرض ليست كروية تمامًا
وأنها ليست مركز الكون
وأن الثور المجنح الذي يحملها فوق قرنيه الذهبيتين
قد ينتفض فيحدث الزلازل والبراكين
ليهلك كافة الخطاة
والمجدفين
ولم تكن تعبأ لا بالهيكل ولا بهندسة بنائه

ولا بكل تلك المجلدات الرخوة التي أراق فيها الكهنة
عصير أيامهم
وسنواتهم التي تمجد الرب
الذي وعدهم بهذه الأرض
أرض اللبن والعسل
فقط شيء واحد كان يشغل تلك المرأة في تلك الأيام
أن تقف في قدس الأقداس
لكي ترى حدائق بابل المعلقة
من شرفة أورشليم العتيقة!!
أورشليم!!
يا مدينة الرب المقدسة
و يا قاتلة الأنبياء
سوف تقفين كاللبؤة وسط البرية وتتلفتين حولك
فلا تجدين أحداً ينظر إليك
أيتها العاهرة الممصوصة ككل زناة الليل
شوارعك ملآنة بالبغاة
والمجدفين
ومياه أنهارك تفيض بالضفادع الميتة
والكلاب النافقة
دموعك تملأ الآفاق وتتجلط فوق خرائبك
مثل روث الخيل
على بنيك تنوحين كل أيام الدهر
وإلى أبد المسكونة
أيتها البومة العمياء
على أرصفتك الملعونة لا يسكن سوى الذباب والقمل
وفي شوارعك لا يمشي سوى البرص والعميان
وفي أفنية دورك
دور فدور

لا يلعب سوى الوطاويط
والغربان
وكل بنات آوى
صدى نواحك يتردد عبر الزمن
ولا يوجد من يمد لك يد العون
صرخاتك لا تسمع عبر الأودية
ومشاعلك دائما مطفأة
وبدون راع تتسللين إلى أرض الغرباء دائما
ونساؤك لا يعملن سوى بغايا
أيتها المنبوذة بين الأمم
بعمل يديك تسقطين تحت الأنقاض
وبعمل قلبك
سوف تنامين مؤرقةً كورقة ظل كل أيام حياتك
كداعرة تلمين حولك اللصوص
وقطاع الطرق من كل فج
يدك ليست قوية
ولا مستقيمة
قلبك مملوء رجسًا
وعينك تفيض بالشر
لمَ فعلت ما فعلت يا أورشليم
هل من أجلك خلق الله العالم
أم من أجل العالم خلقك أنت
يا نهر الورم
والقروح
على شجرة الجسد الإنساني
لمَ فعلت ما فعلت
أيتها المدينة الـ...
يا ندم الرب الأخير!!

ترنيمة

جسمك صيف حارقْ
بحرك بلا أصياف
أنفك لهيب الشهوة الغامض
عينك سيمفونية تعجّ بالتآلفات المتضادة
وغير المتضادة
بطنك علم أجناس الشعوب
ومنجم هجراتْ
هذا الربيع الأجير
له أن يعمل بمفرده كبحارٍ بين سرتك
وبطنك
أما ردفاكِ فخليجان يعجّانِ بالضحايا
وأسماك القرش النهمة
يا لغيمك الكظيم فوق جبروت
شمسك
كفلك آية بميزان!!

عناقيد الغضب

نعم
سوف تدوى القنابل
والطائرات المغيرة
والمروحيات
والمجنزرات الثقيلة
وعربات الإسعاف
لتتداعى أبنية الفجر الميالة
وسوف يصعد طائر الموت إلى أعلى البناية
ليصطاد العصافير بالشصّ
ويؤجل قليلاً ما

أغنية الليلك
والفراشاتِ
ريثما يتوغل جنود المظلات وعبر الأسلاك الشائكة
بفوهات بنادقهم
ودباباتهم الـ سنتريوم والـ إم 90
لكي يؤخروا ولو لدقيقةٍ واحدة
آذان الفجر
الذي يصعد – بائسًا ومترنحًا – على السطوح
والأنقاض
وهو يلملم جثته المدرجة بالدم
من على درج النهار
الذي يطلع من الحفر
والخنادق!!
إنه الموت
الذي يفرد جناحيه الرصاصيتين عبر السماء المفتوحةِ
والأرضِ
بأصابعه العتيقةِ
وهو ينقي ضحاياه كما ينقي حبات الأرزِ
والطماطمِ
ولا يترك لهم – ولو نصف دقيقة –
كي يقولوا للأرض التي ولدوا عليها
صباح الخير أيتها الأرض
يا أمنا الرؤوم
التي تمدنا بالخبز
والحرية
مهما كانت طائرات العدو النفاثة
وقنابله العنقودية
فسوف نعرف كيف نحبكِ
ونحييكِ

أكثر من شجرة الرئم هذه
رغم الموت الذي ينام هادئًا تحت مخداتنا
وأطراف أصابعنا
وسوف تنبِّت هناك وبعد ألف عام من القتلِ
والدم
شجرة الحرية
التي تقف عليها عصافير السلام
لتغنى للعدالة الضريرة!!
نعم
اقتلوا كل شيء
اقتلوا الشجر
والحجر
اقتلوا النهار وهو يتسلل خفيةً
من شرفةٍ إلى شرفة
ومن شارعٍ إلى شارع
في ساعات الصباح الأولى
وقبل أن يشبّ عن الطوق
إلى أن تنجرح الشمس
ويتضرج وجه القمر
بالدمْ
اقتلوا العصافير التي تعبر من بنايةٍ إلى بنايةٍ
لأنها لم تستأذنكم في الطيران والضحك
اقتلوا الفجر
بألوانه الألف
وبرصاصاتكم المطاطية
وستراتكم الواقية
لكي تنعموا بالحرية
والأمن
ولكن ترى أية حرية هذه؟!

تلك التي تنتزعونها من ضحكات الأطفال
وعويل الأمهات
وأنتم تحولون الأرض
إلى جبّانة؟!
لن نستأذنكم ولو لدقيقة واحدة
لكي ندفن موتانا
أو نربط شريانًا
إلى شريان
ولن نتوقف أمامكم
لكي نلملم ضحكاتنا التي سقطت على الطرقات
وتحت أفرع الشجر في بحيرة الدم هذه
لا ولن نقول لكم – كذلك – أي شيءٍ عن العدل
والحرية
فقط!!
سوف نغني لحبة القمح التي نعرف كيف نزرعها جيداً
تحت جدران الأسلاك الشائكة والممرات
وفوق كل تلك الأرض الملغومة بالمتفجرات
والموت
سوف نغني للقمر الجريح
الذي يعرف الطريق إلى بيوتنا المركونة في العراء والطلّ
سوف نغني للقمر الضرير
الذي يملأ حناجرنا بالضوء
وأغنياتنا بالأمل
وسوف نملأ جرارنا بالخبز والماء
بدلاً من أوعيتكم الملآنة بالدم
والكراهية
لكي يعرف العالم
أن ألف حربٍ
وحربٍ

لا يمكن لها أن تقتلعنا من جذورنا
إلا إذا استطعتم أنتم
أن تقتلعوا السماء من جذورها
وأن تحطموا القمر
بالمعاول!!
بقيثارةٍ
وجمجمةٍ
سوف نكسركم
فلم تكن السيدة مريم
وهي تعبر الحدود
من الناصرة
إلى بيت لحم
تعرف أنكم سوف تلوثون كل هذه الأرض
بالدم
وأن السيد المسيح وهو يئن فوق الجلجثة
يدرك
أنكم سوف تصلبونه كل يوم
في صورة شعب أعزل وراجمات
يا من تحولتم
إلى خنازير
وقتلة
باسم يهوه الذي تحول من إله للعدل
والحرية
- حسب شريعتكمْ -
إلى مصاص دماء
بقيثارةٍ
وجمجمةٍ مكسورة
سوف نهزمكم
أيها القتلةُ!!

هنا
اليد التي تزين السماء بماء كالمهل
والأرض التي تقف على قدمين مصلوبتين
وفم ضالٍ
الشجرة التي تختبئ من الظل في الشمس
وتقول للريح :
أيتها الريح
لا سلام لك على الأرض
سوى خشخشة المادة الغُفْل
هنا
المياه التي تهرب عميقـًا
من النسيان
وتكشف عن صهللة الجذرِ
القمر الذي يسهرُ – بمفرده – في الوحدة
ويتوكأ على قطيفة الندم
الحمراء
هنا
الليل الذي لا يسكن إلا في حديقة الألم
ولا يمسك في يديه
سوى حدقة الموت المسننة
هنا
الساعات التي تقف هرمة
وشائخة
على الحوائط المزركشة بالغياب
كشاهدٍ أخير على أنشوطة الزمن
أيتها السماوات التي لا تسمع
أو ترى
سوف نكشطك بمعولٍ
ويطنُّ !!

صلاة من أجل سلام العالم

لنعمل مع الآخرين
بإنسانية وذكاء قلبْ
لا
لم يكن لتلك الشجرة أن تعرف ما هو الشرق ولا ما هو الغرب
ولم يكن لكل تلك الوردة
إلا أن تعطي عطرها للجميع
أسسوا لكل هذا النهار
أن يكون بلا ندم واحد
أو حتى لحظة كراهية
قولوا
لكل تلك الشمس أن تمنح ضوءها
لكل هذا العشب الإنساني
أينما كان
وحيثما حلّ
بلا شرقٍ واحد
أو غربٍ أخير
الشرق والغرب
وجهان لحقيقة واحدة
هي
العالم
فقط
هناك يد تعمل من أجل سلام الروح الخالص
فقط
هنالك قلب يغني
من أجل الحب
مجّدوا الأرض
لأننا أبناء الله!!

صلاة

للذين أحبهم و يمطروننني بوابل من الحجارة!!
للذين لا أحبهم بغير نتيجةٍ معروفةٍ
لأولئك الذين سقطوا هناك على الأرض بلا لحظة واحدةٍ من الأمل
أو النسيانْ
لأولئك الذين يسكنون هناك مع الريح في برجٍ واحدٍ في غرف الصفيح
والمازوت وعلى أسطح المقابر المجاورة يتناولون طعامهم مع الموتى
ولا يعرفون النهار إلا من خلال فتحات التهوية
وأنابيب الغاز
لتلك التي تستلقي على فراش الندم
وتداعب خشخاش الذاكرة
لتصنع من الوحدة جنات وحوريات
وتقف بمفردها تحت مروحة الصيف العنيدة
كي تطرد ذبابة الألمْ
وتودع النهار بيدين حانيتين!!
لأولئك الذين يغنون رغم الألم والغياب
الشبابيكَ
التي يتركونها وراءهم شبه مفتوحة
والنوافذ
التي تركوا فوقها ذكرياتهم لتجف
مثل علف الماشية
وحبات الكركمْ
لأمي التي ماتت بالسرطان وهي تكنس الدار بيديها الممتلئتين بالجزع والنسيان
ودون أن تعرف شيئًا عن فتنة الأمل !!
للسنوات التي تركتُها هناك – معلقة –
على الأرض
في ليلة عاصفة ومضيت نحو البحر
ولا أعرف عن السماء سوى ذلك اللون الأزرق

من الجرح
وها هي ذي السكك التي أسير عليها
وتئن تحت قدمي مثل بعوضةٍ لزجةٍ
لكل تلك الشمس التي كنستها – هناك – من على مائدتيْ
في لحظة من الغضب وقلت للرب
أريد أن اعرف لمَ كل هذه المسامير التي تملأ العالم؟!!
مولود أنا في جبال ضوئك
أيتها الحياة الراسخة بغير فم
أنا بديل مؤقت
لآلهة من خشب
أطلب سماءً من شفقة
قوامها الأرض!!

صاروفيم

بضحكته الصفراء
سوف يتوقف هذا الملاك على مبعدة أخيرة من حجر وطوفانات
وسوف يصعد على سلالمه الرخامية
لا ليراقب التاريخ
من فوهة غرفته التي تشرف على الجحيم دائمـًا
وإنما ليكنس الشمس بأصابعه المعروقة
وهو يتأمل الملائكة
الذين يرسفون في الأغلال!!

شمس مزدوجة

شمس مزدوجة لكل هذا الليل
شمس خضراء
فوق نهديك
الموسوعيتينِ

العيون
والأيدي
الأذرع
والسيقان
الشفاه
والمرمرْ
كلمات أسيرة
القبلة زمردة الجسد
الذي لا ينحسر
اللسان
عسل الكلمات
المخضر
القمر
أغنية النهد الذي يتحايل وينحكّ
لا تقتلوا الفراشات
فوق إبرة الليل
ما عاد هناك متسع
لكل تلك المماحكات
اتسعي قليلاً
أيتها السماء
وأنتِ
أيتها الشمس العالقة
فوق القبةِ
أرجوكِ
وضّحي الردفين قليلاً
تحت قلق الأصابع
يوم أن ملأتُ يدي من نهر جسدك
قلت للعالم
نعم!!

سهر

بجسد منهمر
وماء كالمهل
سوف تقف السماء على مرمى حجر من الأرض
لتلتقط طيورها الوحيدة
من مخلب الليل
لا
لكي تقف الشمس
على سن إبرة
وإنما لتتنفس
بحيوية وبطء
حرير ذلك النهار!!
أيتها الشجرة
أين تقيمين مقبرتك
في آخر الشتاء
هناك
وعلى منعرج السيل
سوف يسهر الليل
على شفا قمرٍ
منجرح!!

سعدي يوسف

والآن
أيها السيد الطفلُ
لم نعد نبصر في أيدينا غير العرق والآجر
وسنوات الحصى والرغبة التي توقفت على الجدران والنوافذ
وأودية الكريستال التي تمتلئ بالدم
لتقف شاهدة على قبورنا الملقاة فوق ظهورنا – والمفتوحة عبر الأفق –

وأيامنا التي عانينا فيها وبمفردنا الخطأ والنسيان ودون تدخل من الطبيعة الحيةِ
أو الصامتةِ على حد سواء
تلك الأيام التي أترعناها بالقنوط والنكران
أيتها الحوائط المفتوحة لليل
ليس ثمة ما نفعله الآن سوى أن نقيم نُصبا تذكاريًا على قارعة الطريق
لسنواتنا المضللة وأغنياتنا المجرحة على الرمل ودون أن نمتثل للألم
ذلك الخفاش العجوز الذي يزهر على أطراف أصابعنا ودواخلنا
وهو يعض بأنيابه العنكبوتية على زهرة الخشخاش اللامعة التي ربيناها صغاراً
تحت أسرتنا الملونة
فيما يعمل كحفار أعمى على اختراق الطبقات اللاإنسانية للعالم
ودون أن يصيبه الغثيان أو الملل
ولا يريد أن يتوقف ولو للحظةٍ واحدةٍ حتى يصل إلى تلك الشبكات الضوئية
العميقة التي تربط الجسد بالجسد
والجذرَ بالجذرِ
وها هو ذا الألم يقف سداً ترابيًا منيعًا بين الشهيق والزفير
لأحلامنا المبتكرة!!

سراب

آه
لقد شاخت السنوات
التي كنت أطاردها على الرمل
ولم يعد هناك ذلك السراب الذي كنت أحسبه ماء
وأطارده بعصا الراعي
ماذا فعلت بالزمن الذي يتسرب من بين يدى
كالمطبات والحفر
لم أكن أملك غير ضوئك الذي ينضح بالزيت
مثل قنديل معلق تحت قبة كنيسة
آه

لقد طارت تلك الحمامات
التي كانت تحط على أحلامي وأعرفها بمناقيرها
وعبر الظهيرة المدوخة
ولم يتبق لها سوى صوتك
الذي يشبه العظاءات
واليتم.

أيها الليل دعنا نواصل الغناء

أيها الليل
دعنا نواصل الغناء
نحن الذين ودعنا مضارب القبيلة
وربطنا إبلنا على صخور الليل البردانة
ولم يكن يتبعنا غير سمك البحر
أو حدائق الفراشات الشيطانية فقط
توقفنا تحت سماوات واطئة بحجم الكف
وأخذنا سلالنا الملآنة
بالملحِ
والهزيمةَ
وارتكنا على حوائط الموت المجوفةِ
وبدون أن نأبه لأي شيء
قلنا لآلهتنا الورقية
لماذا تتراكم الجثث على بوابات الفجر العارف
أيتها الآلهة التي لا تكفّ عن الضحك والنسيان
أيها الليل
دعنا نواصل الغناء
إلى أن تنتهي حناجرنا
من الكوابيس
والضجر!!

خائط العوالم

في الليالي الثقيلات
كان المعري الضرير يجلس على أريكته الخشبية
وهو قابض على حروف اللغة ليدقها بالمدقات
فيما هو يتلو – ومن فوق دكته الخشبية – سورة الكرسي
وإذ
تفكر للحظة واحدة في
زمن الطفولة المليء بالأحلام
والمسامير
أدرك وهو على مشارف السبعين من العمر
أن الطريق إلى الجنة
جدّ طويلة وشاقة
وأن عليه أن يمر على ذلك الصراط المستقيم أولاً
وقبل أن يصل إلى خاتمة الرحلة
ويُلقي به في نهاية المطاف في نار جهنم
والتي يدرك بحدسهِ الأكيد
أن أحداً قد لا يتجاوزها أبداً
إلا الملائكة الأجلون
والأنبياء البررةُ
وكذلك الخلّص من القديسين والرهبان
وحاملو مفاتيح الربّ وصولجاناته
وأن ستين سنة من الكدح المضنى وراء حواشي النحو والصرف
والسعي الحثيث وراء سراديب اللغة
ومنغلقاتها
والدخول إلى قيعانها الإسفنجية
ومياهها السردابية الشاسعة
لا يكفي لإدراك معنى واحد من معانيها المترامية الأطراف
فكيف له – وهو الضليل الأعمى –

أن يقبض على تلك الخفافيش التي راحت تطارده في العتمة
وتلعب برأسه
– ليل نهار –
حين تغلق بوّابات الدور
وتنطفئ نواقيس الشوارع
وفوانيس الخمارات
وليس ثمة غير الهوام
وأشباح الظلام الهرمة
المتقدة الأعين
والرؤوس ؟!
كيف له – وهو العائش في الحقيقة دائمـًا –
أن يتثبت من كل ذلك اليأس الناشب تحت نعليه
الغليظتين
والقائم هناك على جدران الروح
كشجرة هائلة
وكيف له أن يعلقه فوق جدران البيت
– كتعويذة خالدة –
وهو المكلل بالخديعة
والغي
كيف له أن يعلق كل تلك الصور الشاهقة عن الملائكة
والجحيم
وكل قابضي الأرواح هؤلاء
ألم يكن له – وهو الذي يلمس الشك بأنيابه
وأظافره –
أن يتحسس تراب العتمة
بقدميه الشائختين
وعينيه المعوجتين
فيما يمسك بكلتا يديه بعصاه التي يهش بها على غنمهِ
وكلابه الضالة

– عبر الصحراوات المترامية الأطراف –
والتي تحاصره ليل نهار أينما يذهب
وحيثما يحل؟!
كيف يتيح لمراكبه التي تعبر بعيداً عن الجاذبية
أن تتوقف هناك عند حافة السماء
وتحت قبة النجوم التي أخذت تتسع بحجم رغيف من الخبز
والملح
ليجمع في شباكه الورقية
أغنياته
وصلواته
ويلقي بها إلى السمك الميت
الذي استخرجه حيًا من الذاكرة
وعبر سنواته التي أنفقها هناك وبمفرده على الأرض
بلا لحظة واحدة من اختيار واحد
أو حتى إرادة شريرة
هل اكتشف الآن وهو يدب على قدمين واهيتين
وفم أدرد
– إلا من بقايا السوس والروائح الكريهة
وعشاء البارحة المالحِ الخشن –
أن للوجود معنىَ آخر
غير تلك الوطاويط التي تلعب في رأسه
وتحاصره ليل نهار
كأنها الجحيم
ومن دون أن يملأ – ولو جرة واحدة من كل تلك الجرار
الكثيرة المترامية على حواف الترع
ومسارب الأنهار
أو يلقي إلى المجهول بدلائه التي أصبحت تشكل
حائطًا صلبًا
يشغله حتى عن كل تلك الهاوية

التي أصبحت تحدق فيه بعينين مبصرتين
وفم أدرد ؟!!
لقد كان يعرف أن الطريق إلى الجنة
لا بدّ وأن يمرّ – عبر بوابة الجحيم –
الذي أخذ يتحسسه بكلتا يديه
فيما يشبك أيامه الأخيرة
ولياليه
في صنارة الوحدة
والعجز
تلك الصنارات التي يشبكها بخيط
طويل
من الدم
والحمى الروماتيزمية
وأوجاع النخاع الشوكي
وتآكل المفاصل
عبر عينيه المطفأتين
وبئر الهاوية
المكتظ بالقطط الرنّانة
والثعابين
المتكاثفة
وها هو ذا
يتخبط ليل نهار – في السكك والشوارع –
وعلى غير هدى إلا من الذاكرة المطعمة بالأصداف الفارغة
وإبر النحل
كيف له
وهو الضليل الأعمى
أن يمسك بخيط الإبرة – ليجد على النار هدى –
أو ليلضم الخيط الأبيض
في الخيط الأسود من الفجر

فيما يقول وهو على شفا الهاوية
يا خائط العالم
خطني!!

جسر الحرية

حينما احتلت جحافل المغول الفرات الأوسط
لم يكن هناك ثمة سفينة محملة بالمؤن والذخائر
ولم يكن ثمة أثر لطائر الراقوق الأزرقِ
أو حديقة الإوز العراقي
والحجلْ
فقط ...!!
كان هناك جنكيز خان الذي يرقد في خفته مقروراً
في تلك الخيمة المنصوبة بإزاء «أور» المقدسة
ممدداً قدميه حتى حافة السماء التي تندلق على الأرض
ومفكراً
في الآن نفسه
في كل تلك المدن والفيافي
وفي كل هذه الممالك التي لا تغيب عنها الشمس
والتي سحقتها جيوشه الجرّارة
وترقد ضائعة تحت قدميه
وفيما كان قوّاد جنده وخاصته
يلفون الفرات الأوسط بحثًا عن ماء السماء
وخبيئة جلجامش
ويلقون بالآلاف المؤلفة من الكتب والذخائر
وأقلام الوراقين
ورقائق النسّاخ المصنوعة من الكاغدِ
وجلود الحيوانات المدبوغة بالملح
والشمس

وكذلك الفهارس العملاقة التي قام برسمها
كبار الجغرافيين في العالم
والتي تضم كافة البلدان والممالك وخرائط المدن التفصيلية
وأسماء البحار والمحيطات التي تبقّع العالم
بالإضافة
إلى كل تلك المجلدات الضخمة المرصعة بالياقوت والماس
والتي تحدد مواقع النجوم
وتعين بدقة متناهية دوران الأفلاك
والشمس
كان دجلة في ذلك النهار الكظيم يغصُّ بالدم
من فرط الجثث التي أخذت تطفو على الماء
فيما الأسماك التي أكلتْ كفايتها من الأدمغة والمعي
ترقص متلامعة تحت عين الشمس اللاهبة
وكأنما في رقصتها الجماعية هذه
تؤدى صلاة الجحيم لطائرٍ وثني
ولمّا
لم يجد قواد جنده من وسيلةٍ فعالة وناجزة
يعبرون عليها نهر دجلة الذي يمتلئ بالجثث والجماجم
اقترح أحدهم – وكان ذا حصافة وخبثٍ – على جنكيزخان
أن يصنعوا محرقةً هائلةً
– كتلك التي كانوا يقدمونها لآلهتهم الشرهة إلى الدم
والتي تركوها هناك وراءهم في آسيا الصغرى
في انتظار عودتهم مكللين بالنصر –
من الكتب والمجلدات التي توجد في أية بقعة من هذه الأرض
التي أصحبت خالية تمامًا بفعل الخوف من القتل
والقنص
بما في ذلك كل تلك النسخ التي في حوزة العلماء والفلاسفة
وكافة رجال الدين من القرآن الكريم والأناجيل المقدسة
وأسفار الملوك الأول

وتماثيل "أشور" و"أور"
وكل تلك الجداريات التي خلفها وراءه بانيبال العظيم
وأن يخلطوا كل ذلك الرماد المتبقي
بكل تلك الجثث التي أخذت تتزايد يومـًا بعد يوم
حتى كادت أن تصل إلى عنان السماء
وأًصبحت تشكل حاجزاً حرجـًا يهدد الحياة في ذاتها
ولكي يصنعوا في نهاية الأمر من كل ذلك العجين المخلوطِ
جسراً هائلاً يربط ما بين الضفتين المتقابلتين
لنهر دجلة العظيم
وبعد أن يكونوا قد صبوا عليها وعلى كل تلك الأشلاء والجثث
زبَرَ الحديد
وقِطْر النحاس
وكذلك الآلاف من أطنان الحجارة النفاثة
التي صنع منها جلجامش العجوز
مدينته الطيارة
والتي تشبه الجمجمة
المحطمة!!

هذه الوحدة وطائرها الأخرس

الوحدة!!
هذه الوحدة اللعينة التي تطأطئ الرأس
وتجعل الزمن يتحشرج
كالحشرةِ
الوحدة
هذه الوحدة التي تأكل معي على المائدة
وتغسل الأطباق
وتنتشر كقط أملسَ
على الشّوَكِ والسكاكين

وكافة الملاعق
وأرضية الحجرات
ومفارش الأسرة
والتي تلتهم بشفتيها الجهنميتين
كل ما أقدمه لها من حججٍ
و مرايا
وبقايا ما في الأطباق من أطعمة
والتي تعمل تحت صخور الروح المدببة
وهي تنفث بخارها الكثيف
في الخفاء
إلى أن تنفجر تحت مياه الروح اللزجة
وتفيض على كافة المسام
كيف نقبض على هذه الوحدة الشرهة
من رأسها
وندقها بالمدقات
إلى أن تنفثئ كالبثور التي تظهر
على الشفاه
والجلد
لتذروها كالرياح إلى المستنقعات والبرَكِ
ولتقف هناك في الأعالي
على رأس طائرها الأخرس
لتنقر بمناقيرها
المجوفة
في قلب الظلمة!!

مرثية مالك بن الريب الأخيرة

بيدك الأثيمة هذه
سوف تجرح كواكب الليل

وسوف تجلس – وبمفردك – على أريكةٍ خشبيةٍ
قدّام تمثال أبي نواس
ذلك القابع على الفراتِ الأوسطِ
لا لتناوله كأس الخمر التي يحبها
وكلما أراد أن يشرب أو يذكّر
وتنتابه اللذة
ولا لتحكي له عن قطرة الدم
التي أخذت تسيل من قلب نينوى
باتجاه خيمة الرب الهائلة هذه
وإنما لتكدس خيباتك اللانهائية
وأنت ترفع يدك الأثيمة هذه وبضراوة بالغة
إلى يسوع المسيح وأمّه السيدة العذراء
– في تلك الكنيسة المهدمة –
التي كان يؤمها أهلك وعشيرتك
من قبل أن يقف الحواريون
والكهنة
والنساك
وضاربو الدفوف والودع
في عزاء الطلح
وعلى الأسلاك الشائكة
في انتظار أن يحصلوا على تأشيرةٍ من القوات الأمريكية
تتيح لهم الحصول على صكوكِ الغفرانِ
أو الهروب من مدينة الجحيم هذه
من أجل أن يصطفوا على مائدة الرب المقدسة
في انتظار أن تخرج عليهم
تلك اللبؤة
المومس
كوندليزاريس
لتمنحهم الحرية

والسلام
وبعد أن تكون قد منحت فخذيها
لكافة القوات الأمريكية
من أجل أن ينهلوا من ماء فرجها
الذي يسيل كالفراتِ!!

ماذا عساي أن أفعل بكل هذه الحياة!!

لا بدّ أن الزمن قد محا كل شيء
الحذاء الإفريقي ذو الرقبة من الجلد
النهر القديم الذي يغتسل فيه القمر خمس مرات في اليوم والليلة
أبي ذلك الخيميائي العظيم
بنظراته المقدسة
وأنابيقهِ التي يحتفظ بها تحت مخداته
في انتظار أن يجد حلاً لمعضلته الكونية التي لا تنتهي
كيف يحول التراب إلى ذهب
ولا يعود ذلك المعدن اللعين مقصوراً
على طبقة دون طبقة
أمي
بجلبابها المنطفئ دائماً
وهي تشعل التنور لإعداد وجبة العشاء الساخن
لأبي
وذلك القِدر من اللحم
كومة الأوحال العالقة بقدمي
بعد نهار طويل وشاق من التجوال المضني
في طرقات الريف
الجافة
شجرة السنط العجوز
والتي ما كان يحلو لها النوم إلا ساعة الظهيرة

المقبرة القديمة
التي تخترق القرية من أقصاها إلى أقصاها
وكأنها تذكار أبدي على يد الله
التي تعمل في الخفاء دائمـًا
الأصدقاء القدامى
في طياراتهم الورقية
وأحلامهم
التي فقدت الأطراف والشفاه
وما عادت سوى أعقاب سجائر وعلب صفيح
ووطاويط
أشباح الفجر الغامضة وهى تطل برؤوسها البيضاء
والتي تشبه ملك الموت دائمـًا
بأجنحته الهائلة
وترساناته
صرير الجنادب المحتدمة
أثناء ممارسة اللذة
تحت ساقية معطلة
الشهب اللّماعة التي تخترق مُدية الظلام
مثل صرخة مكوّمة
الآن
ماذا عساي أن أفعل بكل هذه الحياة!!

لا غالب إلا الله

(حكاية عن حياة أبي عبد الله الصغير
آخر ملوك الأندلس 1492م)

[1]

في يوم من الأيام لم تكن تحلم أمه
بأن يكون ملكـًا على كل تلك الأرض

البعيدة
عن مكة تمامـًا
أو يقف بمفرده فوق ربوة عالية
تشرف على ساحة قصر الحمراء
لكي يقطف نجمة الفجر
الذي يعرف دائمـًا أنها تطلع متلألئةً
وزاهيةً
على سماء غرناطةَ
تلك النجمة التي تذكره دائمـًا بالصحراوات العربية
والتي أتى منها أجداده الأولون
أولئك الغزاة من البدو الرّحل
الذين جابوا الصحارى
بحثـًا عن الماء
والكلأ
وحملوا الجرار
والسيف
على أكتافهم
وفوق ظهور الأتن المحشوة بالهوى الجارح
– للخيام والمضارب –
والتي هدّها الظمأ
وأتلفها النسيانْ
ولم يكن يشغلهم في شيء
إلا ذلك السراب الذي يلمع من بعيد
وليس ثمة أمل في أن يتوقف
أو ينهزم
تحت تلك الشمس الظافرة
لشهور الصيف العنيدة
ومن هناك
وعبر بادية الشام البالغة الحرّ

والقرّ
جاؤوا
ليجتازوا المدن والفيافي
وليصلوا أخيراً من أقصى الشرق
إلى أقصى الغرب
جاؤوا
وعبر كل تلك الأرض
التي يمشي عليها القمر بأغنياته الجريحة
ومواويله التي تشبه الحرير والسيسبان
ويمكن فيها للنجم أن يقطف باليدين
آه
من كل تلك الأرض
التي تجري من تحتها الأنهار
ويتفجر منها الماء
في الصخر
وفيها من الحور العين
والقيان
والمغنيات من الجواري اللواتي يتلامعن
كالماسات واللآلئ
ما لا عين رأتْ
ولا أذن سمعت
وأخيراً
كان يتعين عليهم أن يتوقفوا تحت كل تلك السماء الحريرية
لغرناطةَ
التي تسيل على شوارعها اللذة
والشهوة كالسلسبيل
وليشهدوا من فوق كنائسها العالية
أن لا إله إلا الله
وأن محمداً رسول الله !!

[2]

أيها الفجر المضاعف لا تقترب
فالسماوات التي تعودت على الندم
والخسارة
لم تعد تلك السماوات التي تهبط بمناطيدها الإسفنجيةِ
وأحلامها الورقية
عبر النوافير
والأودية
والطيور الملونة
والأراجيح
صارت الأرض أسلحةً
ومعاركَ
وبحيراتِ دم
والنجمة المستقيمةُ التي كنت أقطفها باليدين
صارت هي الأخرى غريبةً
وغير مواتية!!
توقفي!!
أيتها العجلةُ الجهنميةُ
يا عجلةَ الحظ السيئ
مثل طاحونةٍ
مخربةٍ
وتوقف كذلك
أيها الفجر المضاعف على دَرَجِ القصر
ريثما أجمع سراويلي
ورايات مملكتي
وشارات جندي
لكي أعبر المضيق إلى الشمال الإفريقي
ولآخر مرة سوف
أتطلع إلى قصر الحمراء بغرفه المذهبة

وشرفات غرناطة
التي تعلوها الفراشات
والضوء
وربما تطلع نجمة الفجر
لمرةٍ أخيرةٍ كذلك
على جبال الأندلس
فالسنوات التي قطعناها هنا وفوق هذه الأرض
كانت من الرخام
والقطيفة.
[3]
الآن!!
وقد ذهبت كل هذه المدينة إلى النهر
وذهبت كل تلك السنوات البعيدة إلى حيث اللاشيء
ولم يتبقّ من الفجر المضاعف
إلا حفنتان من تراب
ورملْ
وبقي الزمن
الذي يعمل بمفرده كحفار وأعمى
ويصهل هناك على درج القصر
كأسطوانة فارغة من الأيائل
وبخطا طيفه التي لا تنتهي
يجري من الأبد إلى الأزل عبر صحراواته الواسعة
ومجراه اَلعميق
ولا يصل إلى منتهاه أبداً
أيها الزمن
يا حجر الرحى
أيتها الطاحونة الفارغة الحمراء
هل هذه هي النهاية البائسة للأحلام؟!
هل هذا هو الليل المدجج بالكوابيس

والعتمةِ
هل هذه هي نهاية الصلوات التي لا تنتهي إلا للعدم
من يقول:
إن هذه النجمة الغريقة الزرقاء
كانت تشبه تلك النجمة الواثقة
بحبالها الفسفورية
تحت سماء الأندلسِ
كالقطيفةِ
وتشرف هناك على الوادي الكبير عبر النهر
من يقول
إن هذا الحجر الناشئ فوق تلك المستنقعات
والبراري اللانهائية
والأبنية المهدمة من الآجرّ
والقشّ
هو هو نفسه ذلك الحجر اللامع الحيّ
الذي يتفجر منه الماء
في سماء الأندلس اللازوردية
وعبر بواباتها الواسعة
ومواخيرها
وإسطبلاتها المجهزة بالصافنات
وبناياتها المطرزة بالكهرمانِ
والسوسنِ
من يقول:
إن هذه الطيور بمناقيرها الخشبية المشققة
هي هي نفس الطيور التي كانت تتلامع بالأمس
فوق سماء الأندلس العتيقةِ
وقبابها النحاسية المطلية بالذهبِ
والفضةِ
تلك الطيور التي تمسك في مناقيرها الملونة

بغصن زيتونها الأخضر
ومتخيلاتها التي تشبه الكواكب الدرية
من النساء
والولدانِ
كيف أضعت كل هذه البلاد من يديّ
ولم يعد يعلقُ بأصابعي سوى ترابها اللين الجاف
وصوت جيتار لمغنٍ أندلسي ضرير
وهو يغني أغنيته الأخيرة
للجميلة إيزابيلْ
– هنا كانت الأرض والسماء
جنبـًا إلى جنب
أيتها الأندلس الرحيبة
نهاراتك
من إردواز
وزيزفوناتٌ
أرضك مرصعة بالأحلام
والسواسنِ
نساؤك مالهن من مثيلٍ
ومياه أنهارك التي تجرى كالأرجوان والشهد
لا تنبع إلا من السماء
ولا تصب سوى في الجنة
أنتِ
يا مدينة الأحلام
والفراشات
لياليك جسر من النساء الذي لا ينضب
ويتفوق على الحليب
والسحر
زرقة عينيك
مثل العندم

وماء الكوثر
في طرقك اللامعة يتكاسل النورُ والظل
وفي ساحاتك الصاهلة
لا نرى سوى الحوريات
وشقائق النعمان
ولا يسيلُ على أطرافِ جلابيبك سوى الزمن
الذي يجري على السكك
كالنواقيسِ
والكاتدرائياتِ
أيتها السماوات المضاعفة
توقفي قليلاً قليلاً
على الأبواب
والشبابيك الخلفية للزمن
ريثما أحصى عدد قتلاي
وما أضعت من ذهبٍ
وفراشاتٍ
فالسنوات
التي أضعناها فوق هذه الأرض
كانت من الأحلام والقطيفةِ
أيها الفجرُ المضاعف لا تقترب
لا غالب إلا الله
لا غالب إلا الله!!

قصائد أقل إنسانية

إلى المتنبي

كيف تلمس الهواء الذي يصير أقل شساعة وإنسانية
من كل تلك الأرض التي تكورها بين شفتيك كاللفافةِ
وكيف تركب حصانك الخشبي ومعك خبزك وملحك

الذي يلتقطه لك بعض السيارة
لتعبر به من صحراوات الروم البالغة القسوة
إلى بلاد ما بين النهرين
وحدود أنطاكية
أنت الذي يعرف جيداً كيف يصنع من اللغة
زوارق
ومحاريث
وينصب شبكته الثقيلة من الدمع
ليخيط بها في نهاية الليل
أوهامه
وطيوره الفخارية
التي تقف شامخةً
ومتحفزةً
على بوابة سيف الدولة
في انتظار أن تمن عليك السماء بكلمةٍ واحدةٍ
لتفك بها المغاليق
عبر اللغة
والعالم!!
لا
لم يكن سيف الدولة الحمداني أقل ذكاءً منك
وأنت تقف بين يديه – كاللبؤة –
لكي تخيط له القصائد التي كتبتها على مقاسهِ
وبالتفصيلِ
بعدد أنفاسه اللامعة
وذخائره
وهو يلقي إليك من شرفتهِ العاليةِ
بالدراهم
والدنانيرِ
التي تلمع بين عينيك أكثر من اللغة ذاتها

فيما تحمل بقجتك المثقوبة فوق رأسك
التي تمتلئ بالصئبان
والقمل
وتصنع من اللغة نعلاً واسعًا
تستطيع أن تصبه في رجلِ كل أحد
حتى ولو كان هذا اللاأحد هو كافور الإخشيدي نفسه
ذلك العبد الآبق
والحاكم الفعلي لدرة العالم – مصر –
بقدميه الغليظتين
وشفته المشقوقة كطرف منجلٍ
لا
لم يكن السبيل إلى ذاته
سوى موته !!
وفيما كنت تعبر الطريق إلى مصر
– تلك المرأة اللعوب –
وتاركًا خلف ظهرك الروم
وصحراء السماوة
ومدينتيك المفضلتين
الرصافةَ
والكرخَ
كنت توقف جوادك الخشبيَّ
لكي يروى ظمأه من ماء الفرات
وللمرة الأخيرة في التَاريخ
في ملمّعة الآل
والقفرِ
وكنت تلوّح للرصافةِ
والكرخِ
بقبضة يدك التي تَعرف جيداً
كيف تعيد إلى الاستعارة المكنية

مكانها اللائقَ
في الواقعِ
والتاريخ
فيما كانت تلك الصورة الفريدة التي تشغلك دائمـًا
وطوال الوقت
كيف يمكنك الجمع بين الماء
والنار
في صفيحة ؟!
أنتَ
أيها المهزومُ الذي علمتهمْ
كيف يتم خيانة اللغة جهراً
وجرجرة كافة الكلمات من أعضائها التناسلية
– أمام العامة
والدهماء –
إلى محاكم التفتيش
وكناسي الشوارع
وبائعي المرطبات
والروبابيكيا
وكيف يصنعون من اللغة أرجوحة بحجم لعب الأطفالِ
لكي ينافقوا بها السماء على مكثٍ
والأرض
– على طاولة مستديرة –
ولكي تصبح في نهاية الأمر تلك اللعبة اللعينة
من الحروف
والكلمات البلاستيكية
دنانير
وأرغفة
وذلك بدلاً من أن يربوا اللغة في الهواء الطلق
لتتعلم معنى الحرية

أو في حويصلات الطير كأرواح الشهداء تماماً
إلى أن أصبحت تلك الصحراوات العربية الشاسعة
جزيرة من الدم
والمعتقلات!!

سرديتان

سردية 1

إنه النسيانُ الذي يسيطر على كل اتجاه
البحارُ
والرمل
الأحلامُ
والسكك
والكل ينسى
لقد كانت حياتي خربةً وخاوية
– مثل محراث قديم لفلاح بابلي –
وتسير من ظلمة إلى ظلمة
وفي نفق مظلم
تترك موداتها العليمة وخياناتها
لقد اتفق لي أن أرى الجرذان
تسير في السكك
وتعلو البنايات
وتقفز من النوافذ
وتتسلق شبابيك الروح
كما تتسلق القطط أكوام القمامة
وبقع الفجر الجافة
لقد سبق لي أن رأيت
الشمس تنكمش من البرد الخالص
والبرد الخالص يهرب من الدفء الخالص

الشمال
يبحث عن الجنوب في الشرق
والشرق يبحث عن الشمال في الغرب
والمستعمرات رمز كل شيء
المستعمرات في راحة اليد
والمستعمرات في البنطلون
المستعمرات في حدقة العين
والمستعمرات في ياقة القميص
المستعمرات في الحذاء
والمستعمرات في الرقبة
لا توجد أرض أخرى لأمارس عليها
حريتي وبعنف
لا توجد سماء ثامنة
لأهبط عليها بمناطيدي وطائراتي الورقية
ليس ثمة شمس غير هذه الشمس
لألقنها درسًا في الاختيار الإنساني الحر
أو لأجلس تحت حوافها المتضرسة المتشققة
وأغنى أغنيتي التي أحبها بعمق
ودون أن يزاحمن أحد
– حتى ولو كان الرب نفسه –
آه
من هذه الفقمة التي تقف في الحلق كالشوكة
وتبول ليل نهار في مؤخرة الرأس
ودون أن تتركني ولو لدقيقة واحدة
آهٍ من هذا الهراء الذي يسد عليّ كافة المنافذ
وبالمناسبة ماذا صنعت له
لكي يتربص بي
طيلة كل هذه السنوات
لمَ كان كل هذا الليل

لمَ كانت كل تلك الكوابيس التي تجرى
على الأرض كالقطط
بلا أمشاط لتفلية الرأس
أو حتى أسنان للاستحمام
لمَ كانت كل هذه الجدران
والأبواب
والنوافذ
لمَ كانت أصلاً كل هذه الأشجار والحدائق
طالما أن الإنسان يحمل في يده بلطة
وفي السماء
يكمن الجحيم
دائمـًا ؟!
بلطة في الأسنان
وبلطة في الكتف
بلطة في الوريد
وبلطة على الفم
بلطة في القلب
وأخرى على الذاكرة
لمَ كل هذه البلط ؟!!
لقد ضقت ذرعا بكل شيء
الإنسان
والحيوان والنبات
الأرض
والسماء
والآن
ليس لدي ما أخسره تمامـًا
لقد ماتت أمي في حرب 67
بطلقةٍ في الرأس
ومات أبي وهو يعمل على شاحنةٍ

في جبال كردستان
العراق
ولم يرسلوا لنا جثته
- وحسنًا فعلوا -
ماذا نصنع بكل هذه الجثث
لقد تركوها في العراء إلى أن تعفنت
ألم أقل
ليس لدي ما أخسره في هذه الحياة
سوى الحياة ذاتها
الحياة النافقة
والحياة الهاذية
لا تسخروا مني يا أبناء القطط والكلاب
فحتى الآن لم يقل لي أحد
ما هي الفكرة الاساسية لكل هذا العالم
ولا هو الهدف النهائي
لكل هذا الوجود ؟
ولا ما هي الافكار التي كانت تدور في رأسهِ
وهو يصنع كل هذا الخراء
داخل مصنعه الواسع
الذي يسمى الإنسانية
هل سأظل أكتب الاشعار
حتى حمرة الشفق؟!

سردية 2

في الحياة التي منحني الرب إياها
شاهدت الكثير والكثير
لم أكن أريد أن أشرب من هذه الكأس
ولكنني شربتْ

لم أكن أريد أن أنزل إلى هذه الشوارع
الجمة
الكثيفة
الملتوية
ولكنني نزلتْ
لقد كانت لي ذكريات
بعضها أسود
وبعضها الآخر أبيض
وبمرور الوقت
تحولت هذه الذكريات إلى أحلام رخوة وعجينة
بلا عجيزةٍ
أو فمْ
بلا بصيرةٍ
أو حتى ثديين
في كل ليلة
بأناة
وصبر
أنزل إلى الشوارع الجمة الكثيفة الملتوية
لأرى
وأسمع
وأحسّ
ماذا صنع الله بكل هذه الأحلام
البعض ركلها بالأقدام
والبعض الآخر نصب لها
كمائن وحفر
البعض خلَّع لها أسنانها
والبعض الآخر ضربها على مؤخرتها
بالقباقيب
والجزم

البعض بصق في وجهها
والبعض الآخر سخر منها
وبضراوةٍ
البعض استعمل هراوة ليهشها
من على الأفاريز
والسكك
والبعض الآخر استعمل مسدسات كاتمة للصوت
وسكاكين وبلط
لكي يقضي عليها
رغم أن هذه الاحلام
لم تكن تفعل أي شيء
سوى أن تبيض وتفقس في الفراغ
أنا
لم أكن أريد الشرب من هذه الكأس
ولكنني شربت
من الآن فصاعداً
لن أدع أحلامي تصعد وتهبط
على الأرصفة أبداً
أو تقف على الطرقات لتتسول نظرة أجيرة من أحد
أو حتى كلمة واحدة
من كلب
لن أترك ورائي أي شيء أبداً يدل علي
لتلتقطه أنوفكم القذرة
وقلوبكم التي يملأها الروث والضغينة
لن أترك سوى كتلة من العدم اللزج
المعجون بالندم
والخسارات
هذا العدم الذي أربيه كل يوم
تحت سقف بيتي

أقصد زنزانتي الكائنة هناك
– في أعلى هذه البناية –
وسوف أغلق عليه بالأقفال
والمفاتيح
لئلا ينزل هو الآخر
إلى الشوارع المجاورة
فيصيبكم بالعدوى
وينتقل إلى الشجر
والحدائق
أحيانـًا
أشعر أن بي رغبة في الصراخ لحد الألم
لمَ لا أصرخ في وجه كل تلك الأرصفة المغرر بها
والشوارع المخدوعة
لمَ لا اصرخ في مؤخرةِ كل هذه النوافذ
التي تضاء لمرة واحدة على الأقل في اليوم والليلة
لمَ لا أصرخ في كل هذه البيوت
والشبابيك
التي تُفتح وتُغلق
مثل مومسٍ
تنعظُ
لمَ لا أصرخ في كل أولئك الكفرة والمجدفين
الذين يحجبون عنى الضوء
إلى الجحيم لكل هذه الدولة العصرية
التي تمتلئ بالسجون والمعتقلات
واللصوصِ
والخونةِ
بالقوادين والمخنثين وأصحاب الرياسات النّوَرَة
أحيانـًا
أشعر أن بي رغبة قوية في أن أصير حجراً

الحجر مكنون في ذاتهِ
هل أكون مكنونـًا في ذاتي
الحجر مكتف بذاته
هل أكون مكتفيـًا بذاتي
الحجر
لا يسأل عن الماهية
أو العرض
ولا ما هو الجوهر
أو ما هي الميتافيزيقا
والعدم؟
أنا أسأل عن
الجوهر
والعَرَضْ
عن الموت
والموسيقا
عن الأحلام
والقطط !!
أحيانـًا
أشعر أنني جزء من مؤامرة كونية
فلا أعجب إلا بفردتيْ حذاء
لا أحسّ
ولا أشعر بالثقل
ولا أفكر في كل رجال الدين أولئك
الكلاب
بعيونهم الفولاذية
ولحاهم التي تشبه مؤخرات الخنازير
وروث الخيل
انظر:
إلى أرجلهم التي تخب أمام حظائر الرب

في خيلاءٍ
وزهو
كم هو جميل أن تكون بلا رغبات
أو حتى أحاسيس
مثلاً
أن لا يكون لك رغبة في ممارسة الجنس
مع أي امرأة حتى ولو كانت مريم العذراءْ
مثلاً
أن لا يكون لك رغبة في الأمل
أو الحلم
الرغبة تعني الضغينة المسننة
أفقد الرغبة في القدرة على الفعل
واللافعل
إذا كان الله موجوداً حقـًا فلمَ لا يسمعني
وأنا أبكي
أو أصرخ
وأموت كالكلبْ
أين كان نائما طيلة كل هذه السنوات
هل كان نائمـًا وراء أبواب كنيسته المعلقة
وماذا كان يعمل بالفعل
عندما كانت الدماء تسيل في العالم
للرُّكب
ولا يرفُّ له جفن
أو يحرك ساكنـًا
عقلي لا يتوقف عن الدوران
مثل ساعة بزنبرك
وروحي حقل أشواك
وعقارب
وبلا زمن أيضـًا

ومن فرط التفكير في اللامفكر فيه
كثيرا ما انتابتني هذه الرغبة القوية
في البكاء
والضحك
في نفس الوقت
أشخر شخرة قوية
بحجم السماوات السبع
والأراضين السبع
ولا أجد لدى غير شيئي الصغير
الذي أخرجه للعالم وبلا مبالاة أيضـًا
أعطى ظهري لأى شيء
ولكل شيء
ذات يوم قال لي أبي
إن الله موجود!!
فضحكتُ
وقلت حسنـًا يا أبي أن الله موجود
ماذا فعلت له أنا تلك الحشرة الضريرة
لكي يزرع تحت مخداتي كل هذه المقابر
وكل تلك الأحلام المرعبة
عن الملائكة الذين ينتظرونني هناك على بوابة الجحيمْ
بالهراوات والمدى!!
ومن يومها راح عقلي الصغير يعمل
بكل ما فيه من آلات
وتروس
هل حقـًا إن الله موجود؟!!
وماذا كان يعمل خلف هذا الجبل طيلة كل هذه السنوات
هل كان يربي الخنازير
أم يعمل سائقـًا للأظعان
هل كان يعمل كناسـًا لهذه الغيوم

أم يعمل حطاباً في كل تلك الخرائب
هل كان يعمل ميكانيكي سيارات خردة
لكي يصلح عجلة العالم المعطوبة
أم يدير بورصته العمومية
لكي تشهر كافة البورصات
إفلاسها
ماذا يبيع فوق عربته المعطوبة هذه
هل يبيع مناديل الكلينكس
أم يتاجر بالصلبان المذهبة للأطفال
لقاء جنته الموعودة
المستحيلة
هل يعمل بائع سجائر سريح
أم تاجر قماش
وخردةٍ
ألم أقل
لم أكن أريد أن أشرب من هذه الكأس
ولكنني شربتْ
سنوات
وأنا أشغل نفسي بكل هذا السؤال
لمَ كانت كل هذه السماوات البعيدة
وإلى هذا الحد
ولم تكن تحت قدمي لأسير عليها
وذلك بدلاً من هذه الأرض
المملوءة بالمطبات
والدم
بذراعيّ هاتين
رحت أجمع الحطب
وأشعل النار تحت قبة السماء الواسعة لعلها تسمع
أو ترى

وهأنذا أغزل الأسى والدمع
في سلة واحدة
في الصيف كنت أنتظر الشتاء
وفي الشتاء كنت أنتظر الصيف
على أحر من الجمر
يا لها من مأساة!
ومثل قطارات متعاكسة
أسير في الاتجاه الخطأ دائمـًا
وفي الطرق المغطاة بالعظام
والدم
وهأنذا أنتظر الموت بأسى بالغ
وأقعد على الأرصفة المعادية
لأجمع فراشات الدمع
السوداء!

المثلث العظمة

في المساء الأخير كان الرجل المقوس الظهر والذي تجاوز الرابعة بعد المئة
يجلس إلى رفاقه الثلاثة الذين اختارهم بعنايةٍ لرحلته السماوية الشاقة
ولم يشأ أن يقول لهم
إن العالم لا شيء!!
وإن المرئي واللامرئي ما هو إلا صورة من صور الحقيقة المتعددة الجوانب
والتي لا تخضع في نهاية الأمر إلا لزاوية الرؤية مهما تعددت الأسباب
وإن الانعكاس الصحيح للأشياء ما هو إلا الصورةُ التي تحيط بالعالم
فإذا ما انعدم الزمان والمكان
لم يعد للعالم وجود بالأساس
فالضوء لا يكون ضوءاً إلا لأنه يحمل بداخله الجوهر الحى للنور
وليست المرآة إلا اختراعـًا للواقع
وما يحل بالأشياء من حياةٍ وموتٍ ليس سوى لمحة عابرة من ذلك الوجود الممتد

واللامتناهي
كم من السنوات كانت هذه الأرض
وكم من السنوات سوف تبقى؟
– كل شيء يحدث بواسطة الطبيعة والقدرة
وليس ثمة مكان خال من العناية تمامًا
فالعناية هي العلة الحرة للصانع الأمهر
لكل هذا الكون
والقدر
الذي نحسبه مصادفة
وفوضى
خاضع للعناية بالضرورة
وإلى القدر تخضع كافة العوالم –
وعلى ذلك
انظروا أيها الرفاق!!
كم أن هذه النافذة مقدسة لأنها مفتوحة على السماء
وأن هذا الفراغَ الذي يحاصرنا ويمتد من أعلى نقطة في السماء
إلى أقصى نقطة في باطن الأرض
مشغول دائمًا بالأرواحِ والأنفسِ
وليس ثمة خلاءٌ قط في هذا الكون
الماء كالزيت والإناء شكل الماء
والذهب مثل الفحم مع تغير في الصورة
وكل حيوان سيعود منقادا ببصيرته الداخلية
إلى محل إقامته الذي يناسبه
وما هذه الأرواح الترابية المتناسخة المتناسجة
إلا جزء من ذلك العالم العلوي الذي جوهره النور والظلمة
وما الزمن إلا ذلك الحجر من الذرات والضوء
في حركة صيرورةٍ لا منفصلة ولا متصلة
والذي يمتد من الخالد إلى الفاني ومن الفاني إلى الخالد
وذلك دون أن يختلط الماء بالزيت

وإلى النور تخضع العوالم كافة
ودورة فدورة تأتي الأشياء وتذهب
إلى أن يمتلئ البحر بالزبد!!
كان ذلك الرجل الجالس على العتبة
والذي تجاوز الرابعة بعد المئة والمقوس الظهر
هو المثلث العظمة.

في الطريق

في الطريق إلى مكة كانت السيدة (ل.ط) تطلق طائرها بالليل
ليعود اليها في آخر النهار محملاً بالرمل والحصى
ولم تكن تعلم أن طائر الموت – ذلك العنيد الأخرس – من بين كل الطيور
الذي يرفرف بجناحيه الأبيضين كتعويذة خالدة
وإذ رأت أن الطريق إلى مكة جد طويلة وشاقة
وأن شمس الظهيرة المعلقة في كبد السماء تعمل كيد حارقة
أو كطير حارس بجناحين من نار
ودخان
جلست إلى ظل نخلة ضاوية
وتذكرت السيدة مريم وهى في نفس الموقف تماما
بينما تهز جذع النخلة فيساقط عليها رطبا جنيا
ولكنها – وفي وسط هذه الصحراوات الضارية – لم تشأ أن تفعل كذلك
حتى لا تجرب الرب إلهها الحى
غير أن صورة السيدة هاجر والطفل
هي التي طغت على المخيلة – في النهاية – ودون أن يند عنها ولو صرخة واحدة
لطلب الماء
أو العون
فقط
راحت تتذكر الفجر بوميضه الفاتن الذي كان يتسلل إلى مخدعها
وهو يدسُّ يده تحت مخداتها المنداة بالعصافير

والأحلام
والقليل من الخبز الجاف
وحبات الشعير والتوت
فيما يدغدغ برفق الفجر نهديها الناشبتين
على صحن الصدر الرخامي المنسوج من غابات الكهرمان والضوء
وقبل أن تجري في عروقهما اللذة والألم
قالت:
من أي مكان ينبع ذلك النور الذي يشبه حباب الماء والجمر
وأين ترفرف تلك الحمامات التي لا أبصرها جيداً
ولكنها تطير هناك تحت جفني
وما هي كل تلك الأصوات التي تأتيني كالوحي
والمزامير
وليس هناك من بشر أو حيوان في ذلك القفر اللاإنساني
ليس ثمة غير السراب الذي يتطاول تحت قدميّ
ويحيط بي وأتعلق به كالقشة
فيما الطريق إلى مكة لا تزال جد طويلة وشاقة
وإذ أغفت تحت تلك النخلة الضاوية في العراء الضحل
– ومثل راكب إتان أعزل –
راحت تحدق في تلك الصحراوات التي تتراص إلى ما لانهاية
والسماوات التي تنتقش بالشهب والسحب
مثل ثوب مرصع
باليواقيت
والماس
في انتظار أن يجيئها المخاض
إلى جذع النخلة
أو حتى تساقط عليها السماء كِثفًا من الماء
لكي تبلل لسانها الجاف الذي كاد أن يتوقف تمامًا
من فرط ما أتلفه الظمأ
والنسيان!!

غابة الحليب والفحم

السنوات التي أنفقتها في جمع الماء والكلأ
كانت كفيلة بصعودها إلى السماء السابعة
والولوج منها إلى الأرض
في رحلة كان لها ما يبررها من أجل اكتشاف قارةٍ من البلهارسيا
والحمى الروماتيزمية
وقبل أن يصيبها الوهن وفقدان الذاكرة
وتحلل الروح
وامتلاء الجسد بالقروح
والدود
إلا أن يديها المدربتين جيداً
على التقاط دودة الحقل والصمغ
يديها المشققتين كقارتين منفصلتين
لم تتركا لها فرصة واحدة
لتقول لرجلها في الفراش في ساعة الأورجازم
أن هناك زهرة برية
تنمو على حواف قلبها الملآن بالشقوق
والذي أثقلته الشيخوخة والمرض
ولم يكن ينبت على عينيها في تلك الوحدة القاسية
ذلك الغصن من الريحان
الذي أخذت تجففه في العراء الطلق
لتصنع لنفسها
في ساعات الندم والضجر
كوبًا من المودة الساخرة
لتبلل به ريقها الذي امتلأ بنباتات الفطر
والبكتريا
وإذ كان يغلبها البكاء والألم
من فرط الوحدة

وخشونة العظام
كانت تجلس أمام المسجد الكبير
لتتسول حسنة من يد الله
الأمر الذي جعلها تدور في شوارع القرية
بشعرها المنكوش الأكرتْ وعينيها الحمراوين
– كنهرين صغيرين من الدم –
وكإحدى الجنيات
لتجلس تحت تلك الشمس القائظة
في انتظار أن تفتح لها تلك السماوات الراسخة
أبوابها المغلقة دائمـًا
لتبحث لنفسها عن مأوى آخر تقيم فيه
بدلاً من تلك المفازة اللعينة التي كان يتعين عليها
أن تقطعها كل يوم
حتى تصل إلى غابةِ الحليبِ
والفحمْ.

بين يسوع المسيح والمعلم نيقوديموس

هذه الأرض التي تسقط من النافذة مثل تينة معطوبة
كيف يمكن ليديك الاثنتين أن ترمماها
سنواتك التي أنفقتها بين الحسك
والشوك
لا يمكن أن تصلح لاستئصال الشر من هذا العالم
ولا أن تبدد كل تلك الظلمة الغاوية التي تغطي وجه المسكونة
والآن
يا يسوعي الحبيب !!
وبعد أن تكللتَ بالدم
والشوك
أين هو ملكوت الرب الذي حدثتنا عنه مراراً وتكراراً

والذي كما قلت
سوف يأتي على ظهر أتان
هل أومن كي أعقل
أم أعقل كي أومن؟!!
بعض قد يرى أن الحياة جميلة بما يكفي
وبعضهم الآخر قد يرى أن الحياة لا تساوي بصلة
إذ ذاك
أضع الشمس في يميني
والقمر في يساري
وأقف على رأس طاولة في مقهى
وأعيد تخطيط العالم هكذا
النجوم في ناحية
والمرأة في الناحية الأخرى
الله في ناحيةٍ
والشيطان في الناحية الأخرى
السماء في ناحيةٍ
والأرض في ناحية أخرى
لا أفكر مطلقًا في لعبة الجنة
أو النار هذه لعبته الخطرة المدوية
إذ أعتبرهما غير معقولين
ولا إنسانيتين
وفيما أنطلق في السير وأغذ الخطى آناء الليل وأطراف النهار
في تلك الصحراوات الرهيبة
والطرق الجهنمية
التي يمتلئ بها العالم
أضع كل هذه الأفكار في سلة جانبية
وأغطيها بالتراب
والفحم
وأبدأ بالغناء فجأة

اسمع يا نيقوديموس !!
لقد تعلمت الكثير من الحب
تعلمت أن أمسك الألم بأنيابي
وأن أصر الماء في صرة
لقد صعدت إلى السماء ونزلت
لألف مرة قلت أصعد إلى هذه الوردة لأنام أنا والقمر
كصديقين في سرير واحد
لألف شمس جمعت كل هذا الندى
كنت أصغى إلى الحصى والشوك
تحت وابل المطر
كنت أجمع الشّعر في سلال من الشك
لم تكن هناك أغنية واحدة لأغنيها في فراشي الذي يمتلئ
بالليل
لقد كانت هناك الحياة الضرورة
والحب الضرورة
والموت الضرورة
لقد مشيت في السكك التي تمتلئ بالدموع
والدم
كنت أنا والألم
كصديقين
لقد تعلمت الكثير من الحب
نيقوديموس!!
ملكوت الرب للذين يعاينونه
وليس لأولئك العميان الذين يلمسون الحياة بشفاههم
وفي التنور الهائل الكبير
سوف يتخبط الكل تحت تلك المطارق العملاقة
من الحديد والرصاص المنصهرْ
ولن يتغير وجه الأرض
التي قد تنطبق عليها السماء

في النهاية
ويسقط الكل مثل ورقة !!

طحان الهواء

رجل يطحن الذاكرة
بلحيته التي تمتلئ بالفراشات
والظل
ومطحنته التي لا تتوقف عن العمل أبداً
ويركّب خيالاته
وأوهامه
على سقف دراجة بخارية
بسقالات
وها هو ذا
يتنفس هواء الغرف المقبضة
بآلاته الخشبية
ونيرنجاناته
وبكرات خيطه التي يعلقها في رقبته وينسجها في الظلمة المدوية
بكرة إثر بكرة
– والمصوبة دائما بإزاء الفجر –
ربما
ليسدل عليها الستائر المذهبة التي اشتراها
من بائع عاديات قديم
وخردة
وليصنع لنفسه كوبًا من الكحول
المخلوط بالنسيان
والشمع
وإذ يكتشف أن الشمس العالقة في سقف الغرفة
لا تزال تغطّ في النوم

تحت أغطيتها البردانة
يجلس وحيداً مثل وعل وأعمى
على أريكةٍ فضفاضةٍ من نعاس
وحجر
ليصنع لنفسه – كذلك –
شمسـًا أخرى
أقل قسوة حتى من الضوء الهالك نفسه
أو الرغبة في ذاتها
بينما يجمع مساميره
وحصى أرضه
غاباته التي يحرسها بالليل والنهار
ليلقي بها في سلة من المهملات
كتذكار أخير على رحلة فارغة
من رحلاته التي تنتهي أبداً
ولا يملك في نهاية الأمر إلا أن يطحن الهواء
بأنابيقه المزدوجة
ولحيته الكثة الكثيفة التي تمتلئ بالفراشات
والظل!!

رحلة صيد السمك أو الفوضوي رجل البنك

الفوضوي
رجل البنك
الذي يقبض على قططه في المساء
ويجلس إلى شموعه السوداء
ليأكل لحم امرأته في النهار
هل يزيف ميزانيته
أم يضحك على الهواء وهو يمر من خلال أنبوبة ماصة
على الجدران ؟!

رجل البنك الذي يضبط النقود
متلبسة
وهي تمارس البغاء في بئر السلم
وفي الليل يعلق ملابسها الداخلية على الشرفات
وفي أعلى نقطة فوق السطوح
والعمارات
وذلك بدلاً من علم الدولة الرسمي
وبعد أن يفرغ من كل ذلك تمامـًا
يجلس إلى عادياته
ومواداته
ليقرأ نهج البلاغة للإمام علي
وشرح بن أبي الحديد
ورأس المال لكارل ماركس والفتوحات المكية
ومقاتل الطالبيين وألف ليلة وليلة
ورجوع الشيخ إلى صباه
...إلخ ...إلخ
وعندما يخيفه النعاس أو تأخذه سنة من النوم
لا يجد ما يفعله أو يعوّل عليه
سوى أن يربط حذاءه
إلى رجل السرير
خشية أن يفقده في الصباح
وهو واقف على محطة الباص العمومية
في انتظار حافلة تقله إلى السماء السابعة !!
رجل البنك الفوضوي الذي يعرف أنه لا ينقصه الغرام
أو الميكروباص
لكي يؤسس لدورة رأس المال
وأثرها الحاسم في لعبة التاريخ
والجغرافيا
الفوضوي

ابن ماء السماء
الذي ينشر ميزانياته
ودفاتر حساباته على الأرصفة
والجدران
و فوق أسطح البيوت المتآكلة حتى لا تصيبها العتة
أو تأكلها الفئران
من فرط ما أعمل فيها مصباحه الذي يكاد زيته يضيء
ولو لم تمسسه النار
رجل البنك الفوضوي
الذي يولم لكتائب الغبار أمنياته
وملابساته التي لا تنتهي إلا عند حدود الرأسمالية المتوحشة
والأصولية الجديدة
وحروب الردة
وكتائب الرب المقدسة
وهي تدافع عن الإله الجديد
في إدارة الأصول
وتخلى الدولة عن دورها الحاسم
لصالح مجموع من الفئران الضالة
والكلاب المتوحشة التي تنام في مراحيض السلطة ليل نهار
فيما تبحث لنفسها عن موطئ قدم
تحت أحذية اليانكي
وأعلام البيت الأبيض
التي ترفرف دائمًا
على مؤخرة رؤساء العالم الثالث
وعملاء الـ CIA فيما العلوج الأمريكان يشعلون الحرائق المدوية
في قبة الإمام علي
والأهواز
ومدينة الرشيد
ويستبدلون الكتاب المقدس

بوثيقة الدم
والفاصوليا
ما الذي يفعله الرجل البنك الفوضوي
سوى أن يجلس في ركن الغرفة ليعوي كالكلاب
والقطط
بينما العاهرة زوجته
تأخذ في تلوين فخذيها بالبطاطس واللفت
وكافة العملات الأجنبية
ثم تبدأ في التمرين اليومي على ضرب صورته التي تنام على أرضية الغرفة
ذات الرائحة الزنخة بالأحذية
والقباقيب لا لشيء
إلا لتتعلم كيف تمارس اليوجا
بعد أن فقدت الاتصال
الجنسي بالتاريخ
والجغرافيا
فيما تضع في سوتياناتها المزركشة
أوراق الدولار المزورة
وتمسح بها مراحيض السكك الحديدية
انتقاما من الحراس الجدد للهيكل
وعملاء الـ CIA
وجنرالات أمريكا المتوحشة
اللبؤة
رجل البنك الفوضوي
الذي يضع التعاليم المقدسة
للسيد لاو تسو في كفة
والأصول والخصوم في كفة
ويغلق عليها في الخزينة المسلحة بالمفاتيح
خشية أن يسرقها اللصوص مع العملات الورقية
ولا يفرج عنها إلا بقسيمة الصادر

والوارد
بانتظار أن يفتح جنته الموعودة
لرجال الأعمال
والشركات متعددة الجنسية
على أن يصدر مرسومًا إلهيًا في نهاية الأمر
بطرد الفقراء والمعوزين من جنته الموعودة هذه
رجل البنك
ذو العوينات
الذي يضع المونو كل على طرف أنفه لكي ينظر إلى العالم
من خلال ماضيه الذي أكلته الصدقات
والتبرعات
ولا يبصر إلا تلك المخلوقات الرثة التي تسير في الشوارع الجانبية
كالأوبئة والأرانب المجففة وهي تفتش في صناديق الزبالة
عن لقمة سائغة أو وجبة دسمة من وجبات أبناء الذوات
اللصوص الجدد للوطن
والخونة
الجواسيس
رجل البنك الفوضوي
الذي يسكر في المساء على طاولة من قش وخيانات
ويحلم بنساء جويا الأسطوريات المختنقات
بالشهوة
و الزنوجة
و لا يضع في ثلاجاته الأمريكية الأتوماتيك
إلا صورة أرنستو جيفارا أو موتسي تونج
وهو مسجى على طاولة من خشب و حنانات فيما يبك الدم من رئتيه كالخناجرِ
وحول فتحتي الأنف الرصاصيتين
حتى لا تقلقه الكوابيس
ولا يتسنى له النوم إلا بعد أن يتناول كأسين من الفودكا الملوثة بالأرغفة الجائعة
وحليب الأمهات

فيما يعيد تخطيط العالم بحيث يجعل الأعالي أسافل !
لمَ لا يحبس رجل البنك الفوضوي
كافة كوابيسه التي تطارده على العشاء في قفص من الحديد والرخام
ويلقى بها تحت أرجل المارة
وينزل بالمايوه والسوتيان لكي يمارس رياضة
العدو والسباحة فوق بحيرة من الأحلام الكرتونية
التي قنصها من القيمة المضافة للعدالة
والديون المعدومة
وأصحاب العملات المضروبة
وتجار المخدرات
وكافة غاسلي الأموال على مستوى العالم
لكي لا يصاب بعسر في الهضم
أو التبول اللاإرادي أو حتى
تطاله النوستالجيا
رجل البنك الفوضوي
الذي يضع النهار – أخيراً – في سلة جانبية على مائدة القمار
ويمسك بسكينه القوية
ثم يقطع رقبته قطعة قطعة
ولا يترك سوى بيوضه التي تتعفن كقطعة خردة
أو يعلقها على عمود نور في وسط الشارع
حتى لا يعود ذلك النهار قادرا على المواجهة
أو الصراع الطبقي
ولا يشير إليه إلا بسبابته التي تتآكل كقاتل
ولص
وسوف يقلب الليل في أول مقلب زبالة يصادفه
الليل ذلك المجهول ذو العتمة والقبعات
الذي يتهدده دائمـًا بالكوابيس
والسجن
فيما يترك لرغباته الورقية التي تظهر وبضراوة على مؤخرة كارل ماركس

ومارتن لوثر كنج
وسوف يضع آلاف الدولارات المزيفة كذلك
بين شفتي رائعة ليوناردو دافنشي – الجيوكاندا –
حتى لا تعود تغمز له بعينيها اللعوبتين كمحترفة دعارة رسمية
ولكي يضع تلك الابتسامة اللعينة تحت حذائه وليبصق على العالم من بين سرواله
وشرفة مؤخرته
لمَ لا يجرب رجل البنك الفوضوي
أن يضع آلة عد النقود أمام سلفادور دالي والكتاب المقدس
وأن يضع المكنسة الكهربائية فوق رأس هيجل
والقديس بولس الرسول
ولمَ لا يجرب أن يصنع من النهر قطعة فلين تطفو
على سطح الذاكرة
ولمَ لا يجفف تلك الزهور الاصطناعية
التي تنبت على المائدة إلى جواره
ويجعل منها شوارع وأبنية تصلح لإيواء القطط الضالة
وأبناء الكلاب
بكافة فيروساتهم الملوثة بفقر الدم
والغرغرينا
لمَ لا يقول إن هذه الحياة صندل
وأن الليل عدة مقاه
على قارعة البيمارستانات
أو جورب بثمانية أزواج
وسروال
هل له أن يقلق نفسه أخيرا بكل تلك الأكاذيب الملونة
عن العدل
والحرية
وتدخل الله الحاسم في التاريخ
لمَ لا يقول لنفسه وهو يربط حذاءه
أنا – هو – أنا

وكما قال الرب لموسى وهو يناوله التوراة
أهيه الذي أهيه
لمَ لا يجرب رجل البنك الفوضوي كذلك
أن يصنع من الكرسي آنية للزهور
ولم لا يجفف الشمس التي تتسلل إليه من فرج البيوت
تحت مخداته
وفي الليل يقف على الأرصفة المبللة بالخيبة ليبعها كتاجر خردة
أو يجعل منها امرأة تتبول على الرصيف
الفوضوي رجل البنك
الذي يرى أن العالم لا شيء سوف يزرر ياقة قميصه بعنكبوتات ضخمة
وسلاحف
وينزل إلى أرض الشارع ليبشر بحضارة
الأنقاض
والتآكلات
رجل البنك الفوضوي
الذي يقبض على قططه في المساء
ويأكل لحم امرأته في النهار
وعندما تحين ساعته سوف يهتف
يا لها من نهاية تعسة
لمسرحية لا تريد أن تنتهي
وربما يعدّل من وضع العالم
ليضع الموت قدام الحياة
أو يصر الماء في صرة
وسوف يطلع إلى السماء السابعة في عربة من زجاج
وقش
وتجرها ثلاثة خيول
وحوذي أعمى
لا لشيء إلا ليزن الأرض عن بعد بقصبة من هواء
ويقيس المسافة ما بين المجرة والمجرة

بقلم رصاص
وعدة مكعبات من نشارة وفحم
ليكتشف في نهاية الأمر
أن السماء صندل
والليل جورب
بثمانية أرواح!!

إبرة من قش

هكذا كانوا يثرثرون عن الليل ذي النجوم والقبعات
عن الأنهار
وحروب الإسكندر الأكبر
عن المغول
والقوة الفعالة للأهرام
عن الديانات
ومخترعي الأسلحة الجرثومية
فيما كنت أتحدث إلى الهواء بلا مرئياته
وحيواناته
التي تقف صفا عالقا من الماس
والماعز الجبلي
الذي يقود في نهاية الأمر إلى الممر المعتم
وعبر كل تلك السلالم الواطئة التي تربط
السماء والأرض
بإبرة من قش!!

اختراعات صباحية

أخترع وردة لأقول لها: صباح الخير
أخترع قمراً لينام إلى جواري على المائدة
أخترع نهراً لأشرب منه على مهل

أخترع سماء لأتجول فيها بحرية
أخترع أرضـًا لأسير عليها بمفردي
أخترع شمسـًا لأقول لها أنت شقيقتي
أخترع امرأة لأعشقها أمام عتبة السماء
أخترع نجمة لأكتب فوقها قصائدي
أخترع أغنية لينطق الحجر
ويؤلف بضع كونشرتات وحدائق
أخترع فجراً حتى لا تنطفئ بقية الكواكب
أخترع بحراً لأبحث فيه عن لؤلؤتي
أخترع نشيداً صباحيـًا
حتى لا يشيخ العالم.

ساعات الألم الزرقاء

ومثل كافة المقابر القديمة
سوف نتكوم في زوايا النسيان الخالد
لا لننكش الريح بأصابعنا
التي ينز منها الدم
أو نكتب عن أمنياتنا التي تشبه الجذام والسل الرئوي
وإنما لنتعرف على الشمس
التي تشبه كرة من النحاس
والمغنسيوم
وسوف نتعرف كذلك على الألم
من خلال كل تلك الخرائط السرية التي تركها الغزاة
أثناء تجوالهم الراسخ
فوق أجسادنا التي أصبحت جلوداً دبقة لأحذيتهم العسكرية
وأرضـًا صلبة لممرات اعتقالهم
وسوف نتكوم في زوايا النسيان الخالد
لا لنكتب عن عجلاتنا الحربية التي صنعناها من عظام الموتى

وأغنيات الرعاة
وإنما لنكدس أسماء كل الطغاة الذين مروا
من فوق صحراواتنا التي بقيت كشاهدة أخيرة
على غرف التعذيب والدفن
ومقابر الموت الجماعي و الفردي
والأرغفة الممغنطة بالأسلاك الكهربائية
و المعجونة بالروث الجاف
وحبوب منع الحمل
وسوف نترك فوق وجه الفضاء الغويط
صورا شخصية لأيامنا
التي امتزجت بالرعب
والدم
الذي بقَّع سنواتنا المعجونة بخميرة الرب
ووصاياه الجمة
ليتسرب منها الخوف في نهاية الأمر
طريـًا
ولامعـًا
مثل شمس دبقة
على طاولاتنا التي امتلأت بالكوابيس
والمسامير
حتى لا تحرقنا ساعات الألم الزرقاء.

شجرتك الأسيرة شجرتك العالية

حين يجلس الرب على مقعده العالي
وتخرج العصافير من ساحة الكاتدرائيات
كالشهداء
والقديسين
ولا يجد القساوسة شيئـًا يفعلونه

سوى أن ينشفوا أرديتهم الطويلة
ولحاهم الخشنة
بكلمات الرب المطاطة ووصاياه
سوف تقفين أنت
كتمثال من الرخام الحي
وبجوار شجرة الدفلى الناشفة
لكي تعيدي ترتيب العالم
بيديك الاثنتين اللتين ترممان حقائق التاريخ
والجغرافيا
بالعشاء الأخير
والمناولة
وتضعين الوردة التي بين شفتيك على مذبح الرب الرنان
فيما تتركين لعسل يديك أن يتكوم
على نفس الحديقة المجاورة لروحك تماما
أو على السلالم المتحركة لطبقات جسمك الحي
فيما تخرج الكلمات من بين شفتيك النيئتين
كالفراشات الملونة
والعصافير
التي تتسلق وبعفوية كاملة
غابة السماوات الواسعة لروحك التي تخبئينها
في جيب بنطالك الخلفي
وتحت مخداتك المحشوة بالحكايات
والأساطير
فيما صدرك الذي يشبه غابة كاملة من الموسيقا
يرقد هناك في ذلك البعد الأسطوري ما بين رياضيات الجنس
والنغمة الأخيرة لشهوة الملائكة
المرحة
حيث تقف شجرتك الأسيرة في العراء الرنان
لا لشيء إلا لتسمع غناءك

الذي يشبه قطيفة من السماوات والأرض أنت
أيتها الساكنة هناك في الجنات
الأصحاب يسمعون صوتك
وضجيج حركتك
وأنا
لا أسمع إلا صدى غاباتك التي تشتعل!!

تناقضات

لم تترك ليَ الحياة فرصة واحدةً لالتقاط الأنفاس
الشجرة التي أظنها صديقتي
تكمن لي في نهاية الممر
مثل قاتل
ولص !!
القمر الذي أتطلع إليه من النافذة
يوقعني في المطبات والحفر
السماوات الشاسعة التي أرغب في الوصول إليها
فوق دراجتي البخارية
لا أقطعها إلا في النوم
الوردة التي أعلقها على طرف سترتي
تتأهب للانقضاض على
وتكتم أنفاسي حتى النهايات
فيما هي جالسة – تتثاءب – على أحداق من حجر
وكمانات
النوارج التي أجلس عليها لأغني بمفردي في الصيف
تدوس على أمعائي
وتقترح شكل شراييني
الربيع الذي أنتظره كل ليلة
لا يحمل في حقيبته سوى الندم

والكثير من الزهور السوداء
الطريق الذي أسير فيه – بمفردي –
كثيرا ما أكتشف في نهايته نفس الضغينة المسننة والجنون الرابض كحجر
القلم الذي أكتب به
يحدق طويلا إلى الكلمات التي أقوم بحراستها
وينظر إليّه شذراً
باعتبارها زوائد دودية ونتوءات
كثيراً
ما أشم رائحة المستنقعات في كل شيء
في الطعام الذي يرقد على المائدة مثل كلب ميت
في إشارات المرور التي يشتبك
على إطاراتها البلاستيكية
البعوض
و الدوسنتاريا
وكافة أمراض الحياة العصرية
الملفات التي أحملها كل يوم
لا تعرف شيئـًا عن الحداثة
أو ما بعد الحداثة
ومثل كافة القطط والكلاب لا تفعل أي
شيء سوى أن تهز ذيولها وتتثاءب –
ولا تزيد عن كونها شهادة ميلاد
على إفلاس العصر
ووثائق دامغة
على عبثية الفعل الإنساني
الفراشات التي تأتي إلى متنكرة
وهاربة من الحقول
والغابات
لتحط على شرفة منزلي
هي بالتأكيد أرواح ضالة لموتى

يطالبون بالعدالة
وحرية المرور و الحركة
الهواء الذي أتنفسه حارق وينام تحت فروة الرأس
فيما يعمل فوق الجلد
كالإبر
والمسامير
الليل الذي يواريني عن الشوارع البعوضية
والأرصفة
ما هو إلا بضع خفافيش ترقد إلى جواري
على الفقاعات
والسكك
الزمن الذي أضعه في جيبي كالمشابك
كثيراً ما يتسول أمام منزلي طالبا الصدقات
ودورة مياه عمومية ليقضى فيها حاجته إلى التبول اللاإرادي
آه
ماذا أفعل أنا بأناي الزائفة هذه
وبكل هذه الفوضى التي تتكدس فوق سريري
وعلى طاولاتي
أنا كاتب النص الملتزم
واللاملتزم
في هذا العالم.

قشة يركلها المارة بالأقدام

مضيع أنا مثل قشة
ومدفون مثل بارجة في قاع بئر
أدخل في منافسةٍ حادة مع القطط
والكلاب
لكي أثبت أن الله موجود

وأضحك من الأحلام التي تطاردني في السكك كالنقانق
وتمد لي أصابعها البردانة من النوافذ
بينما الحياة تمضى
في الشارع
بهدوء وبطء
والعالم يسير باطراد نحو الهاوية
على جانبي النافذة ثمة أشجار بلا أحلام أو كوابيس
ثمة أوراق تسقط زاخرة على الأرض
كانت تعج بالحياة
والضوء !!
هل كانت تفكر في الخلود أو عودة الروح أو الزمن الزي يمضي بلا نهايةٍ
أم أنها تمضى في طريقها المرسوم بعناية نحو العدم واللاشيء
وفي أي شيء أختلف أنا عن هذه الأوراق
أنا فكرة الله الفذة
وتحفته المعمارية التي تجلس على الرصيف المقابل
حتى لا يدهسها المارة بالأقدام.

مشروع كتابة قصيدة

سأحاول أن أكتب قصيدة جديدة
هأنذا أمد يدي إلى الورقة
الورقة المنزوعة من الأشجار
البياض يهرب إلى الداخل
الداخل الأشد سواداً حتى من الحياة ذاتها
لماذا أجلس إلى هذه المنضدة بالذات
وكلما أردت أن أكتب قصيدة جديدة
ألهذا الأمر علاقة بالفلسفة الوضعية
والسلم الموسيقي
ألهذه الرغبة إحساس دفين بالعبث و اللاجدوى

ثمة جرائد
ومجلات
وصحف مبعثرة من الأمس
خرائب معقدة تمتد إلى ما لا نهاية
فناجين قهوة
وإحساسات
يدي لا تعرف ماذا تصنع بكل هذه الحروف والنقط
سوف ألتقطها بالملاقط وهى تعبر الرصيف
أو تتعطل عند إشارة مرور
عيني زائغتان
وتنظران إلى اللاشيء
أعيد تخطيط العالم وأنا أنظر من النافذة بالضبط
أو جالس على طرف سريري
سريري الذي كل من الوطء
ومن مؤخرات المارة
أضحك ببلاهة من لعبة الحياة الزائفة هذه
وربما أدلق شاحنة من الحبر فوق كل ما كتبت
أو سمعت
أو قرأت
لكي أمحو كل هذه النفايات عن رأسي
الآن
وأنا الكائن العابر والمنعزل
المحذوف من كل سجلات العالم الرسمية
و اللارسمية
الغائب عن الأوسمة والنياشين
وفى هذه الصباحية الرثة حيث أجلس وأتأمل
ربما مر هذا العالم من قبل
ربما حاول أحدهم كتابة مثل هذه القصيدة بالذات
ربما اخترع أحدهم شجرة

وأوقعها في حبّه
ربما اجتث أحدهم نهراً ليحبسه فوق سطح بيته
سوف تمضى هذه اللحظات اللعينة وينبثق الوجود من جديد
الوجود العابر
الفاتن
الآني
والمتلاشي
آه
سوف أركن دراجتي الهوائية بجوار قصائدي
لأنام
واضعـًا ذراعي تحت رأسي
وصاراً الألم في صرة
ومحدقـًا إلى الشمس الجارحة بنصف عين
لعلّي أنسى مشروع هذه القصيدة
ولا يعود ينبثق من كتلة الروح
إلا طنطنة ذبابة كهر بائية!!

الموت بحدّ ذاته

الموت ذلك الحيوان الأسود الرابض بجوار زهرة الخشخاش
وقمر الجنيات الأسود
بأجنحته العنكبوتية
وأنيابه اللانهائية
سوف يقبض على الكل
فيما العتمة تجتاح العالم
ولا تترك ولو فرصة واحدة للحياة
الحياة الرائعة
المجنونة العاقلة
العميقة الغور

والقرار!!
لا تأت
لا تأت أيها الخفاش الأسود بأجنحتك العنكبوتية
وأنيابك اللانهائية
وأمهلني قليلا أيها الوغد
ريثما تجف سراويلي
فسوف أغلق باب حجرتي بالمفاتيح
وأطفئ كافة المصابيح
ولا أدع الهواء يتسلل حتى من الذاكرة نفسها
وربما تدخل من عقب الباب مثل كبش أملح
حينئذ
سوف أنام بجوار أحلامي كالدببة المسنة
لكي أطرد – عنها – ذبابك الذي يطن
عبر الأشرعة
والنوافذ
أيها الموت
هل تموت؟!

وعورة

سأواصل كتابة الأشعار بدون رغبة أو ألم
بدون رغبة حتى من الرغبة ذاتها
وبدون ألم حتى من الأمل نفسه!!
أعرف أن الأشعار جميعها زائفة
والكلمات غبار على أحذية العالم
علام أعول أنا في هذه الحياة
أعلى كتابة الأشعار؟!!
وماذا كان يفعل الحلاج و النفري إذن
ماذا كانت تفعل سافو و هيراقليطس

وماذا كان يفعل أفلاطون بمدينته الفاضلة وهو يبحث عن المُثُلِ في الشوارع
و بارمنيدس
عن التاريخ ذي الأظافر
والانهيارات
ماذا عن الحروب والدم والمواسم
كل شيء سيختفي من هذا العالم
حتى الجمال والحب والميتافيزيقا
الميتافيزيقا التي لم تكن حلا لأي شيء
ثمة ميتافيزيقيات كثيرة ومتعارضة
ميتافيزيقا الموسيقا
وميتافيزيقا الحجر
ميتافيزيقا الروح
وميتافيزيقا الجسد
كل شيء سيختفي
سيذهب إلى البحر
البحر الكبير الواسع
إلى نقطة الصفر
إلى أعلى نقطة في البنايةِ.

الحياة لم تكن سهلة أبداً

أذكر تلك الخراف التي كانت تأتيني في النوم
و أهشها عبر الذاكرة الخربة
أذكر الشمس الراقدة عبر الحقول والمستنقعات
أذكر صباحيات الندى
والنهار الرائق كالسلحفاة
أذكر وردة النحاس و القطن
والكثير من أحلام أبي
تلك الأحلام التي لم تكن تزيد عن رغيف محمص

و حصوة من الملح
ما الذي يجعلني – وفي عز البرد – أكتب عن أفلاطون
وأنا أحاول إصلاح
فردتي حذائي
ما الذي يجعلني أقرأ ديستويفسكى
وأنا أكثر من راسكولينكوف
واحد
وفيما أغط في النوم
على جدران مكتبتي ثمة فراشات لا مبالية لرسوم الأطفال
وأفلام كرتونية بجواميس تعبر النهر
وهأنذا أرسم الشهوة في بحيرة من الملح
وأحدق مليًا إلى القمر من منظور أرنب
بطاطس ومقبلات
تلك وجبتي الصباحية
العالم معطوب وأنا أحاول إصلاحه
يا لها من فكرة خيالية
وها هم رجال القانون يغرقون في التفاصيل
من أجل صفقة البطاطس
واللفت
ويسنون القوانين بالمقشات
قانون لهندسة الوراثة
وقانون لهندسة البيئة
قانون لجباية الضرائب
وقانون آخر لاحتكار الهواء
والشمس
قانون لسرقة الوطن
وقانون أخر للإعدامات
الحياة لم تكن سهله أبداً
ما الذي يجعلني أفكر في العالم

وأنا لم أكن بالنسبة له أكثر من حصوة
فارغة
في قاع قارورة
بين محيطات بأنياب
وأسماك فك مفترس!!
آه
لا يوجد سوى أرقى الدائم من الميتافيزيقا
أيتها الحيوانات الراكدة
على حسكة الروح
ها هي الشمس تعلو على قصبة الأفق
والعالم لا يفكر إلا في مصنوعاته الجلدية
وأنا أفكر في العالم
وفي حتمية الحل النهائي للكرة الأرضية
المعطوبة !!

عفيفي أبو حجازي

(1)

في ليالي الصيف العتيقة
كان يمسك بأنواله
ومغازله
وتحت ضوء القمر المخنوق
والنجوم التي تميل إلى الزوال دائمـًا
كان يترك لخرافه الضالة التي صنعها من الصلصال
والآجر
أن ترعى في صحن المسجد
وكان عندما يتذكر سنواته التي أنفقها
في جمع السيسبان
وحب الكافور

والخروع
كان يسند ظهره الذي امتلأ بالبثور والدمامل إلى جميزة ناشفة
ويبدأ في تشييد مدنه و شوارعه التي يعلقها على الجدران
وشجر الأضاليا
ولا يجد لديه ما يفعله سوى أن يمسك بمذراته الخشبية
لكي يذري بها تلك الساعات الهرمة
التي أنفقها في غسيل كوابيسه
وأوهامه
التي جففتها الشيخوخة
ونشفتها السنوات
وذلك
قبل أن يعود إلى أنواله ومغازله
وبكرات خيطه التي ينسج منها آلهته الورقية
وصلواته
التي يقدمها قربانًا
إلى الموت الرنان.
(2)
أمام المسجد الكبير
كان يجلس الشيخ المسن عفيفي أبو حجازي
ولم يكن يترك لفراشاته الليلة أن تنام أو تهدأ
من قبل أن يعمدها بالتراب و الآجر
وفيما كان يجدل الهواء على سلم من كرتون
وقش
كان يعرف أن الموت الحطاب سوف يمر في آخر الليل
راكبا حصانه الخشبي و حاملاً في يديه الدفوف
والمزامير
وأن أطفال القرية أولئك الغواة الصغار
سوف يرجمونه بالبصل
والطماطم

وهم يشيعونه حتى المقابر
بالأغنيات التي تبقع الهواء
والدمع!!
فيما كان الشيخ المسن عفيفي أبو حجازي
يعرف أن الحياة ما هي إلا لعبة ورقية
لا تلبث أن تزول
أو تنتهي
وسوف يخرج الممثلون الصغار
من الباب الخلفي للمسرح
وقبل أن يسدل الستار
ولا يتبقى من كلمات المؤلف
سوى كلمة واحدة
النهاية!!
(3)
في عريشته التي بناها على شاطئ البحر
من الحكايات
والأساطير
كان يحلو له و في آخر الليل دائما أن يجمع حواليه طيور الكراكي
والسمك الميت لا لشيء إلا ليصنع خرزه الملون
وأغنياته التي يرصع بها صدر السماء...
ويرصها هناك فوق الطوف البحري و ليصنع من كلماته التي ينحتها من الحجر
والآجرّ
صلواته التي يقدمها إلى الماء
فيما كان يجلس إلى جوار أحلامه كالدببة الجائعة
و السحالي الصخابة
لكي يؤسس لوحدته التي تتعالى
مثل صرح من الرخام
والحصى
ولم يكن يفعل أي شيء

سوى أن ينام و ظهره إلى العراء الطلق
إلى أن تقلبه الشمس في الظهيرة كالكلاب الضالة و القطط الميتة
وتحت مخداته التي يحشوها بالطوب و القش
كان يخبئ النجوم التي قطفها من آنية السماوات
والزبد المحروق
حتى إذا جاءه ملك الموت بمعاوله المحدبة
وآلات جره
لم يجد لديه ما يسرقه سوى خرزه الملون
وطيور الكراكي التي تحلق بعيداً في السماء الراسخة
وأغنياته التي يتركها هناك على العتبة !!
(4)
حين تقدمت به السنوات أخذ ينفث بخاره الكثيف و يسعل كالقردة و النسانيس
وكان يجلس على مصطبة الدار
ليغنى أغنيته المرحة التي كان يغنيها أمام القبر دئمـًا
وفي رحلة الوداع الأخيرة
أخذ يجمع بطاطينه
وحاجياته
ونوارسه البيضاء
والسوداء
وتوجه إلى مقبرة القرية لكي يفترش ظله
الذي سبقه هناك كي يموت
و ما زال يتبعه مثل كلب
و هناك
وعلى الطريق الترابي المؤدي إلى المقبرة
كان ملك الموت يفترش الأرض
بألحفته
وسجاداته
ويقوده ببطء
إلى حيث العظام التي تتراص إلى ما لا نهاية

والجماجم التي تتكوم كالبنيان المرصوص ومخلفات حرب شرسة
فيما ظلت هناك وعلى باب المقبرة
جمجمة أخيرة
تحدق فيه بعينين رائبتين
وفم يملؤه التراب
والعناكب!!
(5)
حين فاجأه الموت الرنان
وهو يجلس على عتبه الدار بجلبابه المتسخ بالزيوت والشحم
و عكاكيزه العمياء
كانت سنواته التي تلمع كالضغينة
ويعدها كالأرانب
تتراءى له من بعيد
مثل سفينة تمخر البحار و المحيطات
أو كعجلة معطوبة في نهاية الممر !!
و لما لم يكن يملك في نوبة الحراسة المصغرة هذه
سوى حجر من الفلين الذي يتركه على السطح
ليغوى به تلك السمكات التي تتراءى له في النوم
كالقطيفة
كان يجلس إلى حجر الرحى كأحد الثيران الجريحة
ليشد الزمن من قرنيه
الرخاميتين
بأصابعه التي يشبكها في صنارته الوحيدة
ويتركه هناك ليحف
مثل كيس من الدمع
وقبل أن يهوى فوق رأسه كالثعالب وحبات الأضاليا
وعندما كان يحدق في مرآته التي سرقها من الزمن
ويحملها في جيبه كالخرز والإوز
كان لا يبصر إلا تلك السنوات الضريرة

التي ينشرها على حبل غسيل
وفوق سطح بيته الذي لا يلعب عليه سوى الفئران
والقطط
ما الذي يفعله الموت الرنان
بأغنياته التي يتركها هناك على الأرض
وسكاكينه
التي تجز رقبة الهواء؟!

شهوة

في الخمسين
لم أبلغ قاع تلك الوردة
ولا ذروة هذا العالم
بيدين كليلتين
وقلب منجرح
سوف أقطف قمراً أبيض
وأقترب من شهوة الأرض
التي لا يعرف أنينها
سوى الجذر!!

القمر الأحمر

إلى
محمد الطوبي
ومحمد شكري

الليلة!!
سوف نقتفي أثر هذه النجمة أو تلك
وسوف نتوقف على حدود طنجة الواطئة الحارة
التي هجرها الأعراب و الطوافون من الطوارق و البدو الرحل
و صارت مدينة مفتوحة لبائعي السجائر المهربة و المخدرات

و سوف يمكنك كذلك و بعيداً عن نبرة الحزن هذه
ودون أن تفتش في أوراقك القديمة عن الأسبلة
والأضرحة
وصرخات طارق بن زياد وهو يعبر المضيق ليصل إلى نهاية المحيط
بحثًا عن الأندلس العتيقة
أن تتبع هذه الشمس إلى خط النهايات
تلك الشمس التي فرت من تحت عباءة الليل البردانة
كي تسند رأسها إلى حائط مقبرة كان يسكنها المهدي بن بركة
ولكي تكتب شعراً جميلاً في محبوبتك فطوم
تلك المرأة التي أغوتك طويلاً
وشغلتك بشعرها المحموم
وثديها الزيتوني الذي يشبه خيط الحرير
والقز
وأعطيتها من سنوات عمرك القليلة
بعد أن وهبتها كل زيتونك و خبزك الحافي
وما تركت لها على المائدة سوى حرائقك التي أخذت تشتعل في كل اتجاه
أنت أيها السيد الهرم المبجل
نم هانئًا هادئًا
فليس ثمة من أحلا م أو كوابيس يمكن لها أن تفي بحاجاتك الملحة
وطرائقك إلى الوجود إلا الشعر
أذكر
كيف صارحتها بجنوناتك وولعك في ليلة ما من ليالي الصيف العتيقة
ورحت تغنى لها أغنياتك التي تشبه حب الرمان ثم أخذت
تتبعها من بلد إلى بلد ومن مفازة إلى مفازة
تمامًا كما كنت تتبع الأثر ومثلما كان يفعل أسلافك القدامى من الرواقيين و البدو
الرحل
والأعراب
ودون أن تبلل رجليك في مياه الأطلسي أو الأبيض المتوسط
لكي تغتسل من ألم الحب

والشعر
في قارورة كنت خبأتها في طيات جلبابك الأسود
وتحت جدران سجن تازما مارت بعيداً عن رجال الدرك وحراس السلطة الأقوياء
الآن
وبعد أن هدأت العاصفة الترابية
دعنا نتجول على شواطئ الأبيض المتوسط
ودعنا لا نكتب مظلمة إلى الوالي بل نغني أغنيتك الأخيرة إلى القمر الأحمر
ولا نتطلع إلى الهواء الذي يذخر بالأساطير
والفلسفات
دعنا نتوكأ على أحزاننا التي تشبه الدمامل وأعواد الحطب الجاف
و لا نبوح أبداً بكل تلك الصحراوات الشاسعة التي تفصل بيننا
ولا بكل تلك الهزائم التي تملأ العالم كالمخاط
وسوف نتوقف كذلك و لمرة أخيرة فقط تحت حائط قديم
لبيت كان يسكنه محمد شكري على أطراف طنجة الغادرة الميمونة
لنبني نفقـًا في الأرض
أو طابقـًا آخر من الحكايات و الأساطير
لأطفال القنيطرة الذين ينتظرون القمر الأحمر لعبد الوهاب الدكالي
بشغف بالغ
ويأس غير محموم
حتى إذا ما جاءت الشمس في آخر الليل عريانة و صابئة
يمكن لك أن تخيطها تحت جلبابك المزركش بالأغنيات و الليالي
أو تخبئها في دورق من الزجاج المغربي المعشق
أو داخل غرفتك التي تشبه السجن و الخالية تمامـًا من الأسرة و النوم
لكي تخلع عنها كل تلك السراويل المبلولة
وتعلق الزمن على نفس المشجب الذي كنت تعلق عليه عصافيرك و ذكرياتك
وقصائدك التي كنت تحفظها عن ظهر قلب
صديقي محمد الطوبي!
إنما هي فتنتك أيها الشاعر الجوال
الذي التقيته قبل عشرين عامـًا

و لم أكن أعرف أن الزمن بآلته الحدباء الجافة
سوف يكون له من القوة و الضراوة
ما يمكنه من أن يقرض أرواحنا التي أخذت تجف قطعة قطعة
تحت الموائد و الأرصفة
ودون أن يتوقف أو يتلكأ لمرة واحدة
ومهما أرسلنا نحن من ضراعة و شفاعات
إلى أن نختفي تماماً من الوجود
ودون أن نخلف كذلك وراءنا سوى مجموعة من الدوائر المتشابكة
والمتقاطعة
على أرواحنا الميتة
وأجزائنا الحساسة
تلك الدوائر التي يتعين عليها أن تتلاشى
رويداً رويداً
مثل حجر يهبط
إلى المحيط!!

حرية العدم

في السنوات التي أصابتنا بالزوغان و العمى
كنا نتعلق مثل طير مصلوب فوق شجرة اليأس الرنان
وبأسناننا التي تنز بالألم والخطأ
وكلماتنا التي تنزلق ناحية الإثم والبراءة
كنا نفتل حبالنا الصوتية الجافة لنتسلق عليها حتى نصل إلى أعلى نقطة
في الفضاء الغويط
ولكن المسافة التي كنا نقطعها في رحلة الصعود والهبوط هذه
ما كان يمكن لها أن تفي بحاجاتنا الملحة
لاكتشاف قارة واحدة
من قاراتنا الغارقة
ولا كانت مبرراً خالصاً على وجودنا الإنساني الممض

في هذا العالم
ولم يكن ثمة من شاهد على صلواتنا المحروقة
والتي نقدمها لآلهتنا الورقية
سوى جوهرة الروح التي تنبثق من كل هذه المادة الغفل
والتي تسمى أحيانا بالعدم.

لعبة المصائر المتقاطعة

عندما تأخذك الشفقة قليلاً على هذا النحو أو ذاك
عندما تدرك لأول وهلة أن الطرق الصحيحة و الصائبة للعالم
ما هي إلا نفس الطرق التي تفصلك عن المصير الإنساني
ولا تعود تشغلك فكرة الأمل و اليأس في شيء
أو يفصلك عن الهدف النهائي للوجود إلا بضع خطوات حذرة
الأمر الذي يجعلك تتردد كثيراً في المضي أبعد من ذلك
لأن هذا الطريق أو ذاك
سوف يقودك في النهاية إلى نفس المصائر المتقطعة!!

لا مرئيات

(1)

لأن ثمة من يملك النظرة المفقودة للعالم
سوف تستمر هذه الحياة
لأن ثمة من يجدف في الفراغ الغويط
بذراع خالية من الرغبة
سوف يستمر الموت الرنان
لأن اللاأمل هو الأمل بحد ذاته
سوف يستمر العدم
لأن ثمة من يقف على الرصيف الخالي من المارة تماما والمقابل للسماء دائمًا
سوف يستمر صراخ كل هؤلاء الموتى
وحدها الحياة تعرف كيف تكون الحياة !!

(2)

أطلب زهورا اصطناعية لكي أشم رائحة العالم
أطلب أطرافًا ورقية لكي أواصل الحياة
المجرى الدائم للعالم
مجراي الزائف
الحقيقي
والواقعي
هو نفس المجرى الدائم لكل شيء
للأطباق والملاعق
للشوك والسكاكين
للأطفال
والمستنقعات
آه
امنحوني قليلاً من الوقت أيها السادة لأراقب الحياة
من شرفة الحياة
قليلاً من الوقت لأغني أغنياتي البلاستيكية
والورقية على حد سواء
قليلاً من الوقت لأتشارك مع العالم
العالم الأفقي
والعالم الرأسي
العالم اللاعالم
وبعيداً عن كل ذلك العالم الذي يبدأ من الكينونة
وينتهي على أرضية الشوارع
والحفر
كم من الأحلام سقطت تحت قدمي
كم نجمة هوت تحت القناطر
أو انتحرت من فوق أعلى الكباري
كم قمراً أخفيته تحت المائدة أو في حقيبتي الجلدية
وأشعلت له الشموع في الليل

حتى لا يبكي من الوحدة
أو يتسلل عائداً إلى السماء
في سيارة واقية من الرصاص
أنا طائر يعبر المحيطات
ولا يقتفي سوى أثر الضوء على السكك
وفي كافة الخرائب الكونية
الوداع
الوداع!!
يا حيواتي الواقعية
واللاواقعية
على السواء
الوداع
الوداع!!
يا طيوري الماتزال على أهبة الاستعداد دائمـًا
(3)
أنا عدة آلات جر بألف ذراع اليكترونية
ومحاريث
مؤسسة بآلاف المكاتب
وأطفال الأنابيب
أريكة تنام عليها كافة النجوم
والمؤن
والذخائر الإنسانية
والحيوانية
على السواء
لمَ أشير إلى هذه الناحية من الجسر
لماذا أصفق دائمـًا للقمر
وبالمناسبة هل هي عادة يومية
حين يطلع وعندما يغيب
الحياة رحلة مصرانية في عدة مدن في وقت واحد

مدينة في الرأس
ومدينة في القلب
مدينة في الدماغ
ومدينة في الأحلام
واللاشيء
أرعى هذه الزهور بمفردي
أطبطب على كفل كل هذه الكينونات بكياناتي
لا يشغلني الربيع في شيء
بقدر ما يشغلني عمل هذه الآلات
للآلات أرواح
ومقابر صدقة كذلك
وبقدر ما لها من شرايين وأوردة
يا لكل هذه الحياة الفاغرة الفم
مثل هاوية!!
(4)
ابدأ من حيث أنت
اركل كل هذه الغرفة
السقالة ، العشبة ، الذاكرة لا فرق
لا فرق
لا فرق على الإطلاق في أن تكون أو لا تكون
لا شيء سيتغير في هذا العالم
بدءا من حروب الإبادة
وانتهاء بالمجاعات والرأسمالية المتوحشة
وبالمناسبة أين هو المسيح الآن ؟!
اصرخ فلن يسمعك أحد
ابك فلن تجد أحدا إلى جوارك
نفس الشاشة السينمائية المعطوبة
التي تعرض فلمين في وقت واحد
الحياة في جانب

والموت في الجانب الآخر
نفس الشاشة التي تعرض الحياة بقسوة
وبلا توجسات
إنه الموت المجاني
والحياة المجانية
في غرفة التعذيب الواسعة الكبيرة
والتي تسمى العالم
ها هي اللعبة ستستمر إلى ما لا نهاية
وأنت واقف على سقالة العالم الخربة
مثل ساعة بزنبرك
تضع يدك في جيبك
وتمسك بسلسلة مفاتيحك
وبالمناسبة
أي عالم هذا الذي تحكمه الصدفة
وتحرسه الكلاب المتوحشة
ادخل أيها الليل ادخل
فليس في الغرفة سواي
على الأقل !!
وأنت
أيتها الروح الكونية التي تشكل المحيط
أو تقيم بداخلي
الروح التي تعبر الشواطئ
وتتلكأ على الأرصفة
والجدران
وتقف هناك على ناحية الحارات المعتمة لليل
حيث الهواء الذي يتعرف على الهواء
ويريد أن يكون أكثر إنسانية من الهواء ذاته
حيث الحجر مركون إلى ذاته
ولا يفكر إلا في كينونته

حيث النجوم لا تلمع إلا عبر المجرات اللانهائية
والغرف الواسعة المتسخة
من العالم
أريد أن تكون خطواتي أكبر من نظرتي
أريد لهذا العالم أن يكون مضاعفـًا
و منضغطـًا
فأضعه في جيبي
وأغلق عليه باب حجرتي وأربطه بالسلاسل إلى طرف سريري
سريري الذي يشبه منطادا حيوانيا
أو بركانيا لا فرق
تبحر فيه الأحلام
والسكك
في الليل
وفي النهاية يهبط بعجلاته الحلزونية
إلى الأرض
وأنت
أيتها الأشجار
والأفرع
أيتها الشوارع والأزقة
أيتها الأحجار
والبنايات
أيتها الأنهار
والعناكب المسننة
أيتها الفراشات
والجنيات
يا إخوتي جميعـًا
ألمسكن جميعكن بحناني الصيفي
وتيارات هوائي
حيث يقيم النظر في النظرة

ويرتجف الوعي في الخلايا الكونية للعالم ولا تعود خلية تخاف من خلية
أريد أن أخرج عن ذاتي دائمـًا
أن أشق عن روحي غطاءاتها العظمية المرئية
و اللامرئية
أن أخرج إلى حيث ينغمر الكل بالضوء
أو أفرد قلوعي للريح
وأسافر
إلى أين
لا أعرف!!
ولكن رغبة السفر دائمـًا تحدوني
تقودني كخلد أعمى
وتفرطني على الأرصفة
والمحطات
وأنت
أيتها المراكب الشراعية السكرانة
يا مراكب روحي الحجرية
السائلة
إلى أين تبحرين وليس ثمة شيء
سوى الفوضى
الفوضى التي تلف الكون والأشياء بشريط أسود
وسلاسل جهنمية
فوراء كل بحر هناك بحر آخر علينا أن نخوض فيه
أو نقطعه
وخلف كل سفينة رأسية
هناك سفينة أخرى غير رأسية
أو متلكئة
وبعد كل محيط هناك محيط أخر
من نفس الدائرة أبدأ
وإلى نفس النقطة أنتهي

الخلاص!!
الخلاص!!
يا قطط روحي السوداء
يا آنيتي و أواني
يا زجاجاتي الفارغة
وأربطة عنقي
يا أحلامي المركونة على الرصيف
وتحت أرجل المارة
بلا فزاعات
أو نواطير حقل!!
من رأى منكم حلمًا عابراً
فليضربه بالسواطير
والجزم
وليلق به على بوابة الجحيم
الأحلام متاريس في الرأس
وقطط تتناسل بشراسة
في المخيلة
وطائرات ورقية لا تملك العودة إلى نفس النقطة أبداً
أنا الواقعي
واللاواقعي
الغر
اليافع
الناهق
النافق
المراوغ الكسول
الأحمق
العارف
المنحرف
السكران

الطحان
الخباز
الوراق
العجان
والجوهري في الوقت ذاته
وأنتن أيتها الغابات الراسيات في الأرض
كالجبال
وتقفن هناك في آخر الأفق
أو المضيق لا فرق
أشارككن أحزانكن اليرقية
وأقف على بوابتكن معصوب العينين
وفي يدي هراواتي الفلكية
و منجنيقاتي
حتى تعود الفراشات إليكن
وهن محملات بالموسيقا
وأكياس الحنانات!!

جورج بهجوري

يدك التي تقبض على اللون
تعرف كيف تقبض على العالم في نفس الوقت
أنت
أيها الطائر الضليل الذي يعرف كيف ينتقل من متاهة
إلى متاهة
ومن غرفة فوق أسطح المنازل
إلى غرفة
في الموسيقا
أنت أيها الطائر الذي ينتقل من قارة
إلى قارة

كما تنتقل فراشة
إلى فراشة
كيف تلتقي أنت والسيد على جلجثة
وتحت عجلات بنوارج
هل تقلقك قشة
أم يزعجك الناموس؟!